

باسم المرعبي

الأعمال الشعرية



الغاليري للكتب والفنون

الأعمال الشعرية

الأعمال الشعرية
الأعمال الشعرية
الأعمال الشعرية
الأعمال الشعرية
الأعمال الشعرية

طبعة معتمَدة

الأعمال الشعرية
باسم المرعبي
الطبعة الثانية لدى الغاليري للكتب والفنون
2021
لوحة الغلاف: Pinterest
الناشر: الغاليري للكتب والفنون ـ السويد
طبعة إلكترونية وطبعة ورقية

الغاليري للكتب والفنون
موررروم ـ السويد
Algalleri, Mörrum - Sweden
galleriaob@gmail.com

لطلب الكتاب: عبر الإيميل أو صفحة الدار على الإنترنت:
https://galleriaob.wixsite.com/galleriaob

باسم المرعي

الأعمال الشعرية



سبقت هذه الطبعة، طبعتان من هذا الكتاب، إلكترونية (عن دار أبابيل) وورقية عن (الغاليري)، سنة 2016. وقد وقعت أخطاء طباعية عديدة في كلا الطبعتين، ولم يتم اكتشافها إلا بعد إطلاق النسختين. في هذه الطبعة حاولنا تلافي جميع الأخطاء، وعسى أن نكون نجحنا في ذلك، وإذا ما فاتنا شيء منها، فإننا نلتمس العذر من القراء.

الناشر

العاطل عن الوردة
1988

العاطل عن الوردة

مستدَرَكاً بـ "زهور برية"

قبل أن...

وأفرّ اليه
أُمسكُ بيديه، وأنشج بحرقة الخاسر كلّ شيء
وأُمرّغ جبهتي بضوع يديه..
يد على قلبي ويد على يديه
وعينايَ على أفعى تسعى في هوائي
وسمعي لقلبي الذي يفرّ مني، كلّ آن
أنا الحزين، المكتئب، الشاحب
والمشاكس في المقاهي البليدة
باسم الشعر
امنعُ الركام أن يعلو
وباسمه أدعه يعلو
وباسمه أرنو إلى النسوة تمورُ في القلب والشارع
وتركل حصاني الأبيض الجميل وتجحد دمائي
باسمه أفيق على قرىً تهدّمتْ وضفاف شحبت

ونسوة مكتّفات بعباءاتهن إلى شبابيك واطئة
باسمه أفرّ إلى أهوار تُحاذي رئتيّ بعنبرها وأسماكها وصيّاديها ولياليها المعولة بشحوب فوانيسها،
أفرّ إلى صيف بارد فوق سطح دار، عيناي فيه، على قمر ونجوم وعلى أُمّي مستحلفاً عينيها ألّا تتركاني
إلى أخوة فرّقتهم المدارس ليتجمّعوا في الغياب وفي دمع الوالدة المشعّ
إلى أصدقاء يرسمون قراهم في بارات ترسمهم دُخاناً
... إليّ تحت شجرة تين متنشّقاً حليبها ومجمّعاً الغزلان الطائرة في طاسة الأفق
إليّ قبل أن يُجفّف الحليب ويذرّ في عينيّ
إليّ قبل أن أستجمع قلبي وأصرخ مع حمزاتوف:
"أيها الشعر: أنا، لولاك، يتيم".

باسم المرعبي

هل تدري، ماذا أرى في هذه المرآة؟
.. العالم، بوضع صحيح.. أجل،
لأنه نفسه مقلوب!

أوغست ستريندبيرغ
ترجمة: إبراهيم وطفي

١

كلُّ الطرق لا تُؤدّي إلى ماجيرا

أبـي
يا أبـي
يا أبـي!
يا شقيقَ ألمي!
على أيِّ المدى ذرفتَ قلبي
وفي أي الظلال كنتَ تربّي حزني!

ناس من أُمم شتى، حلموا جميعاً حلماً واحداً. رأوا امرأةً تركض في الليل عبرِ مدينة مجهولة، رأوها من ظهرها، عاريةً وبشعر طويل. حلموا أنهم يتعقّبونها. وبينا هُم ينعطفون ويستديرون، افتقدوها جميعاً. حين استفاقوا انطلقوا يفتّشون عن تلك المدينة، فلم يجدوها، ووجدوا مدينة أُخرى. قرّروا تشييد مدينة كتلك التي في الحلم. عند رسم الشوارع، كلٌّ منهم اتخذ الطريق الذي سلكه في تعقبه، وفي كل مكان افتقدوا فيه أثر العارية الهاربة أنشأوا جداراً وفراغات تختلف عمّا في الحلم، لكي لا تستطيع الهرب مرّةً أُخرى.

إيتالو كالفينو ـ مدن لا مرئية
ترجمة: ياسين طه حافظ

القسم الأول

الوردة تسيل ولا أصابع تلمّ العطر

على الضفة تجلس، تسند ظهرك إلى جذع أمنية وتصرخ:
"ماجيرا"..
فينداح صوتكَ عبر مياه ونخلٍ يشيب، عبر فواختَ وتحسر قروي لمراهقات يلففن شهواتهن، بـ "شِيَل" يكتمن صرختين مشرئبتين وعباءات يخنقن سرة خافتة مثل بيت الحلزون.
عبر الأرجوانية المبكرة لبيوت الطين ولألأة عنق نجمة، تشدها من شعرها مياهُ ماجيرا، تصرخ، فينكسر صوتك أقواساً، ولا كمنجة لتسندَ إليها عواءك ولا ثقب ناي لتتنشب هواءك في رئة المدينة.
المدينةُ ظهيرة ازرقاق تحت عيون النسوة، والسهر يرصّع بالشحوب العينين، فكيف نبصر العشب مرتجفاً في النسيم، وكيف نذبّ، بالدمع، السهمَ عن عنق الصغير.

الوردةُ تسيل ولا أصابعَ تلمّ العطر
وماجيرا تشهد العنق والوردةَ السائلة
وماجيرا تسقّف بالمياه طفولة الرمل.

فلتغتسلي، يا سماءً أكنسها من نجوم فاسدة
ولتفيقي يا نجمةً واهنة أرشها بعطر
فحولتي، فهذا السرير مركبٌ تسيّره مياهُ
الرغبة، وأخشى على قلبي أن يصل قبل
أن يغرق - الغرق الضروري في حليب
الغلامة -

- يا غُلامة! اغتلمي بين يديّ، فوحي
بفحيحك. ارخي!

فهذا القفاز الذهب لأجل حريرتك تتباهى
به كفي وهذا القفاز يلمع، لترى صوتي
ماجيرا وهو يومىء في ظلام النخيل..

وهذا القلب مدببٌ لأطلقه سهماً في فراغ
ماجيرا.

ما الذي قاله العشب؟

يلتمع المحْلُ مثل عيني لص.
يلزمني خفان لأتزوجَ هذا العشب ولأقنعَ البحر بخفة دمي.
ـ أينَ القميص الصاخب لأقنع رجال الحدود ببوهيميتي؟
ـ أين كأس النبيذ لأرى الفتيات محمرات من خجل ومن سطوع رغبة؟
يقول لي العشب، تلزمك شمس بيكاسو وحصان فائق حسن ولوثة فان غوغ ..
أقولُ للعشب، لا يلزمني سواي،
لأسيّر قاربي في اليابسة ولألظمَ الشمس طرْزاً في شراعي،
فالبرية أمامي صهيلٌ ذهبي لخالق يدشّن أيامه.

سقوط السروج

تلطم الشمسُ غلالة الغبش، فتدبّ الكائنات
يعرج السرطان على ضفاف القرى
تلمع الفتاةُ في السهب مثل حبّات خيبتي
ينفرطُ الماء
تلتمعُ الأفراس، حُمراً، في الشمس
والرايات أسنّةٌ
تثقّب الفضاء
تسقطُ السروج والأعنّة تخطّ مصيرَ قرىً
قادمة على الرمل.
الفراتُ قربةٌ تثقبها "الأسهم" والأكفّ
حوارٌ مقطوع
تصهل النشارةُ في فرسي الخشبية أمام
قنطرة اللهب
يمتطي الأترابُ أذيالَ دشاديشهم..
ولا صهيل، لا علف، لا ماء
والمدن بلا برارٍ خلفية ليصهلَ القلب
بلا برسيم يحرّك الحيوانات أمام أعيننا
ويدفع هواءَ المصحّات.

بأية كتابة أقطع بياض قطيعتنا

بأيّ موسى أجرح الشمع؟ أُرجرج
المتحفَ؟
أُسيلُ الحمامَ على جلد الزجاج
بأيّ صوت أصِلُ صمتَكِ المرجانيّ
بالبراري
بأيّ كتابةٍ أقطعُ بياض قطيعتنا؟
... مشعّثٌ الصوت
فبأية لغة أُناديكِ عبر ضباب وأسنّة، تلوح
لقلبِ يلتحف الرملَ، نخلاً
عبر مداخن تربو وفضاء للحَمام يُشطب،
عبر مياه تسعى
ولا وصول، لا باب، لا رائحة نافذة.

....
يُضمّخنا البُعدُ والمسافاتُ مسامّ صوتينا،
يلفكِ السورُ، تشرئبّ عيني، يغزلُ الضبابُ
يديكِ ووجهكِ ضوءٌ يسعى أمامكِ يؤلّبُ
حندس أيامي ويصفع رايتي الذابلة..
"نهاري نهارُ الناس حتى إذا بدا......"

وجهُكِ يغرسُ الظفرَ في دمي،
أسيلُ شجراً يُسلَبُ في الطريق إلى النبع،
طفلاً يُصلب على خشب سُلّم المدرسة
شفَقاً يقترحه مساءٌ أعزل
أسيلُ صدىً تصدّهُ المرايا، متفرّساً يشهدُ ترقرقنا عبر شتاء مسائي ودفاتر بوح وقناني عطر تستر صورتينا،
{مُريني قبل تسع سنوات، مثلمل فعلتِ:
أن أعبرَ تحت شرفتكِ مختضّاً ـ لن أنسى عينيكِ، مهما عمِيتُ، وهما تخترقان كمود الكوى في سياج قيامتي..
ـ لم أرَ عينيك، لحظتها، غير أني مطمئنٌ أنك كنتِ تترصدينني ـ مثلما أُفاجَأ دائماً بأعين البنات وربّات البيوت واللاهيات يسترقن النظر إليّ، عبر الشبابيك الواطئة أو العالية والأبواب التي تراها كما لو أنها مغلقة. وعبر الأسطح التي تسترها سياجات مغتلمة، مما يدفعني إلى تذكّر صديقي "المثقّب العبدي" الذي ذهب إلى هذا المعنى بقوله:
"ظهرنَ بكلّةٍ وسدلنَ أُخرى وثقّبنَ الوصاوصَ للعيونِ".

وبدقة أكثر فإنّ ما ينسجم وهذا الموقف تماماً هو قول "عمر بن أبي ربيعة:
و"كنّ إذا أبصرنني أو سمِعنَ بي، جرينَ فرقعنَ الكوى بالمحاجرِ"}.

خوخةً، خوخة.. يورّقكِ القلب

أجدلُ قوس قزح ضماداً لركبتك وأقود رهوَ جسدكِ لما خلف موجة وصندل ومرجان نبيذ

.. تأتلقُ نجومٌ ويبارزُ البرقَ برقٌ

تظفرُ نافذةٌ بالقمر،

البريةُ تلقح فرساً،

فلا أتبينني في زرقة غبار الأجنحة والحفيف،

تنجلي الزرقة، يفيء الهواءُ من البخور:

أتبينكِ شقرةَ غيمة

روبة ضباب

انسكابَ نجمة

تنكمشُ أصابعي وهي تفكّر في إبريز زغبكِ وتختلجُ الحواس

بينا تقلّب فاكهتك..

خوخةً، خوخة يورقكِ القلب ويطفو في مهبّ تفاحك
يا حفيف دراق وريشتين،
يا اكتظاظ من تذهب للثانوية بعد الواحدة ظهراً
أخفقُ شهوتك على ركبتيّ، فيسيل المدى تحت عينيكِ وتحتك
وتخاطب الغابةُ أُختها الغابة
تولم الضوء قبيلة الفراشات
يبرق قنديلُ بحر في جفاف عتمة
و لا ضوء يضاهي وهَجَ سرّتكِ:
يا انثيال قوس قزح ندي بين أصابعي
يا حمحمةَ مهرة ولهاث غزالة
اني أرهف القلب لملمس نبضك يا نعومة البريق
يا نبع مرايا تلينُ لتطلّع دمي.

دائما! الوعورة سالكة إلى ماجيرا

أترك الجيادَ ورائي، جليداً، تغزلها الغيوم
وفتاة ماجيرا
أتركها تعرق في الفرو
يضيئها الضباب وينتحلها الذهب.

تقول لي النخلة: يا سيّد!
أقول للنخلة: يا أمَة.. التلف سيّدٌ، والهاوية
تخفيها أكوام الهواء،
أتلفتُ وأُلفت العصفور:
الرمادُ لا أحد يطويه. إذن الوعورة سالكةٌ
إلى ماجيرا، والجغرافيا صنو
التضاريس...
يستوقفني كوخ خشب يندلق الهواء
والشمسُ والمرعى بداخله..
الرجلُ الريفيّ منهمك بشأن زراعي. لا
يعنيني!

ألمحُ كوزاً تحت الشجرة، بارداً مثل
مراهقة أدلقها على الكاشي في يوم قائظ
ينتفضُ القلبُ بمحاذاة سحنة مشمسة
لكاعب أكادُ أشمُّ صراخاً ساخناً في نهديها.

البقراتُ هناك في البعيد، أُشاغلُ الدمَ
بتصفّح العُشب تحت أقدامهن وأمنحُ
الريفيّ بضع نظرةٍ لأعبرَ شكّه.
الاغتلامُ سالكٌ اليها،
أسمعُ فحيحَ الباب، وأشمّكِ احتكاكاً يا ذات
السحنة المشمسة

أتركُ الريفَ والريفيّ وراء ظهري
وألجأ إلى تأوّهكِ الناضح باللبن.

ظهركِ إلى الباب
وقلبي إلى العراء
أنفاسنا حمّامٌ يجمعنا، وخارجنا الريف
يضحك مخبّئاً لنا
الشمسَ والتلّةَ ترتقيها الغزالةُ وتنفّس
الأرض.

الامتنان لبياض الصخور

خفيفاً أمضي، طائراً، مثل فكرة مغتسلة
بالعطر
ممتناً لبياض الصخور على الساحل
أقود الشجرةَ للمرعى والساقية للشجرة
مربتاً على البط يكتب الريشَ على التُراب
نابذاً باعةَ الكتب المستعملة وراءَ ظهري
فالغابة سطرٌ مورق في الدفتر الطلق
كلّ غصنٍ ناي
وكلّ هسهسةٍ أغنية
أغذّ الصفيرَ لأوقعَ القرى في هواي
والسواحلَ أسلسُها، حَطباً لموقدِ زُرقةٍ
أقدحهُ في هجيرِ المدن.

عندما تتعظ الفتيات بالشجرة

بلا حيض تعرّشُ الفتياتُ في ماجيرا
بلا إدماء يُخثِّر الوطءَ،
هكذا، ثمّةَ، تتعظُ الفتياتُ بالشجرة
صُفراً ينتشرنَ في كُركم القمر، مريضاتٍ،
يلسعنَ الرملَ بشرار سُررهنّ
يتقلبنَ على طين الأمنية البارد
أصلُ أجسادهنّ ـ الأجزاء الأكثر لدانة ـ
بغناء نايي الأزرق،
مُنوَّماتٍ ينهضنَ وبخطىً خدرة يمشينَ
بهدي فانوس زيتهُ الشبق.

حيوانُ حلمي أمام قلعة المروضين

على فرسي، أسوطُ البرية أمامي (أتذكر
دراجتي الهوائية في المدينة وعطب
اطاراتها).
أضفرُ السواقي نشيداً لفم المدينة المتسخ
وأقدح سلك الصباح في فحم خرائبها
أنجرُ الفجرَ لأجل أعناق ديكة زاهية
توقظني الفتياتُ، فأتحسّس البرية تحت
جلدي وأفتقد ثيابي، أسمع ضحكاتٍ مثل
لمع البلّور، يساومنني:
ثيابكَ أو البرية؟
عريي يسطع في السهب أمام سُررهن
الرواني، أحملُ بريتي وأسترني (مروِّعٌ
منظر الآباء يقودونَ صغارهم في شوارع
المدن)، ألهبُ المسافة بحلمي الوحشي،
فأراني أعبر أقفاصاً وقاعاتٍ آسنة وهياكلَ
مربوطة أو معلقة بأشجار متفحمة.
أراني أطوي دمعتي وأرفع بياضها شعاعاً
ينجر جناحَي ركضي

وأراني أرى إلى ريش ينعب فأوقن أنه لأغربة ـ ولكن ليست عُصما ـ *
وبرق يختضّ في سواد الريح كأنه جذر السماوات يفضح رجالاً بأصابع طويلة تعرق على السياط، أتبينهم في الشرفات مديدي الأناة والقسوة.
النوافذ عالية تسترها جلود الحيوانات
أسمع عواءً وزئيراً
عواء.. عواء طويل مثل جدران هذه القلعة
فأدرك أنها قلعة المروضين.
يختضُّ شيءٌ ما بداخلي، أظنهُ حيوان
حلمي، أمسّدُ شعره القصير، أُقبّل ما بين
عينيه، أختلي به، برقاً، عن أعين
المروّضين، أوشوشهُ ما لا أتذكّر
فينطلق رشيقاً كـ هو
يختضُّ جذر السماوات ثانيةً
ويسعل أيلول في الشجرة

أعرى
فيسترني هزيمُ السياط
ويُشتقّ القفص.

عن مشهد تذكرته في ما بعد في لاباز

رهينةٌ القلب بين أقفاص ورجال لهم
سيماء مهرجين يصطدمون في الظلمة
ببراميل خمر ناشفة وبكرات أسلاك
وسياط متهرئة، يتعثرون ويرطنون بشتائمَ
منقرضة، يقْعُونَ مدخنين ورقَ مواضيهم
وما أن ينشر المحاقُ ريشه النيلي وتبطل
النجوم، يلقي الرجال ـ الذين لهم سيماء
مهرجين ـ لفافاتهم، متفقدين سياطهم.

يذرف القلب لؤلؤة ذكرى
السياط تفرقع في الهواء:
ـ صف حيوانك الهارب!
ينقدح الأزرق فيّ، أستشعرُ نسمة المتوسط
تشطفُ رئتي وتومضُ جنيّاتُ الأنبذة

بأيّ عين أصف حيواني
وأيّ عينين سأرويهما عنه:
السهوبُ أطرافه، رأسهُ الغابات

أصابعهُ الأحراج والأديرة المنسية في
المرتفعات
الينابيع والحصباء خطوه
الركضُ كتابه

فاقرأني أستحلفكَ بحلمكَ، الموجةَ
لئلا تطرفُ سحنتي وهي تقرأ:
عيناهُ من بطٍّ وسواحل
وأنبذة وهواء لم يُمسّ
من نسوة محلولات الشعر
وموسيقى في قطار يحمل الليل والسائحات
ورغوة الكأس على جوخ مائدة في طنجة
وكركرة صبية بالكيمونو
ورائحة ورق جواز سفر جديد
ومشهد تذكرته في ما بعد في لاباز
من عشب يحجّ إليه الرعاة في الأنديز

وماذا..؟

يشهقُ القلبُ متلفتاً:
الزورق دخانٌ يتصاعد في الوراء
والعطشُ مرتزقٌ أسودُ الكلمات
يُلهبُ الينابيع بالردم ويتملق الفخاخ

فأُصفّف الخلجان في قفصي لتقع أصابعي،
ساهيةً في الزرقة وهي تشدّ على ركض
حيواني الشارد بعينيه من برق عماءٍ
يخطف النظرة.

هامش مقطع: حيوان حلمي أمام قلعة المروضين ـ القسم الأول:
* أغربة جمع غراب، والعصم جمع أعصم وهو الذي في جناحه بياض، ويندر وجوده. وهو مأخوذ من قول المتنبي:
تعجّبُ من لفظي وخطّي
كأنما ترى بحروف السطر أغربةً عصما.

القسم الثاني

عن أثير يؤثر النقرس على الماراثون ويربّي وجه محقق قبل أن يجترح العصافير

اعتاد الطقسُ أن يسرّح شموسه الرخيمة
في ظلال عينيه
والمناخ تجرّأ على غرس كرسيّه قريباً من
مُنتحَر الأمواج، ليرقب اختلاجات الطيف
الشمسي منحلاً في حدقتيه، مضيئاً
وجوه فتيات يتحسسنَ إصغاء نهودهن
الوردي إلى حمام رعشة،
وعشباً ينحني لشعر غيمة طويل،
مطراً خاطفاً في شارع خلفي في مدريد
مطراً مملاً في نيودلهي
قيداً لا يصدأ، أسئلة لا تبدأ ولا تنتهي:
ـ من أين..؟
ويلمح المحقق انكسارات فيء سجونٍ
تعبرها العصافيرُ، علوّاً،
وظلال أُمهات تقيلهنّ بازةُ قيلولة...
ـ من أين؟

ـ أنا..؟
- ....!
ـ من آسيه
ـ من أسى؟
ويعبر الرجال مطأطئي الأفئدة، يجرّون
الحجارة في المرتفعات والأودية، في
شقوق الأنهر العاطلة، في السهوب،
يستقبلهم عويلُ النسوة، مندلعاً كالأفق
يغطي تغضن قاماتهم، مدلياً بأسمالهم في
انتخابات التعب

أسى، يأسو
تأسو آسيا

منذ متى؟

من التماع حرابهم تحت جنح نبي، من
لغوهم إلى لغطهم عند باب غامض في سرّ
من رأى
إلى جنوب يشتعل مغطّياً الجهات، مستنداً
إلى قامة الفرات
في كلّ نهر لوعة الفرات
في كلّ مدى مدى للجنوب

تنطوي القارات على جنوباتها
وأنت تنطوي على وطن في قارة ما،
ترقى ربوة بمسوح النوم، تُبشّر بالنعاس
وعسل الأحلام تعلق به أجساد الفتيات
الصغيرات
والحروف الأولى لحلمك الحركي..
ماجـ.يـ، را

ينتفض المحقق في الجهة الثانية من
النعاس
ماجيـ... ما جدوى ترقرق هذيانك
اطفـء النبع، واقفل العشب بالتراب
لا صبر للسوط على موجتك تلهو وتوغر
الحبر على ورقي.
اخفِ شموساً تتبارى في سهوب عينيك،
وعلق طقس "ميرو" في رائحة النفق
وافسح الكابوس للسيد "دالي"
لا قطيفة لدي أُجريها لأقدام نمس حلمك
لا عطور أحفّ بها قمصان شرودك
قل...

رنا، أرنو.. العنكبوت تحكم القفص على
الطريدة،

ليس ثمة إلا وهن خيط كظلال مشنقة
يلتمع القيد ـ لا أثر للصدأ عليه ـ تضيق
عينا المحقق وتتسعان فجأة مثل اندلاع
نباح مجاور، تسعل المفاتيح، تبصق
الزنجار، تتلمس ظلامها إلى أقفالٍ نُسيت.

ولا رائحة صرير
تتذكر المفاتيح أنها للقفل فقط
فتقفل نابحةً باسمها الجديد "المقافيل".
....

الهبوب على بعد ياردة بالحساب الإنكليزي
ومتر بالحساب الفرنسي
وهذا المحقق لا يفقه إلا اللغة الشتمية،
بامتياز ينقل عنها وإليها،
وأنا أجهدني البحث عن قاموس،
لا جدوى
حوارٌ لا، الهبوب على بُعد ميل أو مليون
ميل حنين
سكون تقطعه والهواء بزّة شرطي تتكلم
نيابة عن سخامه
تُصغي سبورة المحقق:
دخان جاهز، دخان بأحجام

يشرشف الأوراق، المكتب، السقف، النوافذ، شجرة واطئة، التلة، الثلج
ولا لهب يختطف الهواء من الهواء
أو يربّي الزرقة في حضن أفق يملي الغيمة، يُشبّح العنكبوت، يصـ.. هـ.. ر القيد.

... يتشممني السهبُ، يطلّ بقططية حذرة من كوّة مموهة، مفضوحة للقلب
يترقرق باسمي البرّيٍ
فتهبّ أنهاري سابحةً في نجمات نداء رقراقٍ وتشرئبّ أشجاري لريف ريشها مدشنةً ما يتراءى لها من بقية أوكسجين في أثير يؤثر النقرس على الماراثون
ويربّي وجه محقق قبل أن يجترح العصافير.

عروقُ الموسيقى

"وكنتُ أنتظرك من أقصى مبدأ أيّامي وعمري حتى كدتُ أنفد".
ميارى: في "السد" لـ "محمود المسعدي"

في الخرزة الأخيرة للمنظور، تتموج
الصبية في أعياد الساري والشادور، تطفح
كالحليب في ضرع النار، متململةً،
كالزبرجد، يشفّ الململُ عن مراهقتها
يُرهقها شرودي، هذيان خطوي،
انكساري، مغموراً، بدقيق التماثيل
المهشّمة، متلفتاً على كسر طفولتي تلمع
في نأيها..
(أعبرُ حدائق السكك، وأنا في طريقي إلى
الوشاش مع ابن خالي نتوقف عند نفايات
جافة لبيوت مترفة، أعثر على صورة
ملوّنة لماجدة الخطيب، في جولة أخرى
مررنا بمحاذاة معهد الفنون الجميلة،

توقفتُ عند قطع التماثيل التالفة، تنفستها
يداي، وتنفّست عيناي القمصان المشجّرة
في واجهة أحد الخياطين، كتب عليها:
خاصة بطلبة معهد الفنون).
... وأسمعها تربّي قميصي:
قميصك الذي لم تكبر عليه أيها الماجيري،
الذي يتلفع الحلم ويقود قلبه ريشةً لمهبّ
الحجار!
وأصابعي الحانية تلقطُ السهام وتجتهد في
تدبير الوردة، تصحّح مياه سُقاتك:
ـ إحذر إنهم يدسّونَ لك في اللبن
وأنت تعبّ، لم تكن تنتبه لعينين تسقطان
في زجاجتك، لأصابع بلا خواتم تشحب
على مائدتك.
.. لتحيتك نكهة البريد، دعني أشمّ الورقة
والحبر والتوقيع،
دعِ الإيقاع يطفو، لأُمسكَ بعروق
الموسيقى..
دع صوتي يتدثّر بصوتك وكلماتي تستحمّ
على حافة كلماتك لا تكسرِ الزجاجة، دعها
تشفّ عن حنيني، تربّيه، توحّشه. دعها
تحفظ لك حلمي من الغبار.

جناحاي اللامرئيان، غير أن حفيفهما في
قلبك، يظللانك أينما ذهبتَ.
في كلّ دروبك التي سلكت، تركت فيها ما
يدلّ عليك، دمعةً، ظلاً نحيفاً يشبه شاعراً
أو عاشقاً.
وأنا لستُ بحاجة إلى أثر لأتبيّنك، لأني
أتعرفك في الهواء الذي قطعته،
غير أني كالهواء تجتازني، دون أن تبالي
تاركاً شفتيّ ترتعشان من الغضب والحبّ
توشمان الأفقَ بحروف اسمك المضيئة
كمياه تغتسلُ في مياه، غبَشاً، حيث
المخلوقات تدشّن بياضها
لك وحدك البياض
شراعك أبيض وبيضاء وردتُك
أُلقي عليك ضبابي وأحملك على بياض
غيمتي لأعبرَ الدخان اللدود، فتتنفسك
المراعي خضرةً بيضاء في ما وراء
ضباب الينابيع، فجراً يجرّب أولى خطواته
في ممرّ الأفق وتندس الديكة، مازحاً، فتجدّ
الشمسُ صاكّةً خيولها، من ذهب البكاء إلى
فضّة العاصفة.

ـ عليك البهاءُ، الندى، النداء
عليك ريّا حقولٍ تتصاعد نعاساً في سرير المطر.
أجبني تحفّك شغافي وهمسي، وطيور رائحتي وعرق قلبي.
ـ استحمّي في مسافة إجابتي، وادّخري معدِن عرَقك لجفافٍ يُربّى بمنأىً عن الشمس. أتشهّى سؤالكِ ولكني لا أُحسن الإجابة تحت شُعاعات عطرك وأجراس نسياني.
ـ لا توقظ سهو يديك يطيش على ربى مراياي، يقلّب نجوماً باردة.

كم عميقة صورتكِ في المرآة كأنها الهاوية
كم عميقة صورتي كأنها السماء
كم عميق الصدى يموّج ظلّينا على حائط تتسلقه الأشنات والرطوبة ينادي على كثبان سكون أعمى في برية انقراض يتناسلُ نشيجاً ممدوداً كقامة أجيال تجاور خرس التراب وتستعين بالمجارف في رحلة ردمٍ يكشط البحرَ زرقةً زرقة، لينزّ الصفير أصفرَ حيث تقصّف خضرةٍ تدوسها عيون السحالي وتقعّر ظلام يُدلي

بنجومه الفاسدة على ملأ دامس. كم بهية ظلالنا تتوّج الضوءَ وتوشّي المياه غير أنـها لا تشي بإهاب أحلامنا.

٢

العاطل عن الوردة

السككُ الحديد

لأيامي شكل نقود معدنية مرّ عليها القطار
أتملّى ذكرى تتشبث بها أهدابي
أتملى خوصاً يتكسر، شاحباً كالهدب
أتملى عشباً في خطى حصان ينفق فوق السكة الحديد، والسكة الحديد تطارد الأفق وتعلق الطيور حتى هواء آخر وتشمت بالأحصنة الخضر.
والسكة الحديد تفكّر:
الساقية ساق هشة، والمرعى بدائية متأخرة
يجنح لها الشعراء
سيّما إذا سُلطت عليه الشمس حمراء

....
المشهد لا يتسع لقامة تتكسر كرماد
السيجارة فوق بلاط لامع
المشهد محجوز ليد موظف البنك تحصي جسارات المقاول، ويدُ المقاول تجلو السكة تمغنطها، لتتقصف سيقان العصافير أدراجَ الكهرباء.

(هنا أتذكّر شرفتي التي تظلّلها، بدل اللبلاب، أسلاك الكهرباء، والقمر دائماً أراه من خلال هذه الأسلاك، لكأنّه طيرٌ محتجَز، يحاول جاهداً، أن يرتفع فأرفع نظرتي علّني أفلح في رؤيته طليقاً، غير أنّ مدخنة جاري هذه المرة تحولُ تماماً دون رؤيته، وأحياناً حتى الغسيل المنشور على الأسطح أو داخل البيوت يحول بيننا وبين أشياء كثيرة نودّ رؤيتها).
هل نشكو الخريف للشجرة، أو المدخنة للفضاء؟

يقول الطائرُ: هل رأيتموني، فنقول:
جناحك أخرس والسماء أبجدية تحجبها الغيوم.
تقول الأرض: هذا الإسفلت والسكك الحديد!
نقول: نعرف أنكِ تختنقين.
يقول النهر، وقبل أن يقول، نقول له، نعرف:
أنك تتهجّى الصدى والصدأ في تنَك القطار،

والقطار غير آبه يمضي بزهو فتاة
اكتشفت فجأة زغب ما تحت سرّتها،
يمضي شامراً ضفيرة دخانه على كتفه،
مصوّتاً مثل لصوص زائفين يلهون.

حتى الثالثة عشرة بقينا نلهو، كففنا بعد أن فاجأنا الزغب فوق الشفة العليا وأطلنا سوالفنا لنحفظها في صور ركيكة بالأبيض والأسود، عندها اكتشفنا السخام الذي بدأ يعلو وأصابعنا التي تقشّر الظلام، بحثاً عن الوردة الكامنة، أيدينا على قلوبنا، نلتمس ضوءها المغطّى بالريش والعصور:
نعزل النحاس، الجليد، الفحم، الحجر
وقريباً منا يجلس الآثاري على صخرة، يدخن ويرنو إلينا، ناظراً بين حين وآخر إلى ساعته، مبتهجاً بالشرر الذي يعلو أصابعنا، منصتاً إلى وقع خطى الجبليين تتضح في السكون، وقد فرغوا من تسمية الغابات.
.. يرى إلينا ونحن نحنّط البرق ونؤثّث للشرارة مهدها
نرى الينا ونحن نتكرّر في المرايا أو المرارة.

سارُوراء العاشر من جنوني

الفجيعة نافذة على الإسطبل
والحدّاد يصقل الجياد
القمر حدوة متآكلة
والإسفلت ذاكرة البراري
المستشفى تَخمٌ
والأطفال حماقتنا التي تسعى
المشهد طاعنٌ في الارتباك
، ثمة نسوة يتفقدن الأصص في الشرفات
والمساء أقدام تعبر جثث العصافير
الظلمةُ تتضح
والهوام يطفو في زجاجة النهار
الظلام شمعة الأعمى
والأعمى يتلمّس الحفيف في وكر الدانتيلا
الضباب مزاج سماء لا تفكر
.. أعبر الغيمة، حيث البرق ينسج سريركِ
الأبيض
ويرتق صراخ طفلة..
لم أشأ أن أذكّرني

غير أن السماء تتخذ شكل مهد وقابلة
والمسدسات مخاض معلّق
ينهدم المشهد
ينهدم سياج الصورة
طرية أقدام الجرذ
تدبّ
والشراشف عاصفة ألم أبيض
ووحدكِ تدرئين،
حاضنةً الصراخ الناعم،
شبابيك ريحٍ ذاهلة
.. يهجم الأُفُقُ بخفِّي لص
ينكفىء الفانوس
تهتزّ صورة في الجدار
، فاغرةً يدكِ تسقط،
عمياء
والنافذة وشم دخان
، يرتجّ المشهد
يذوب في صرّة الدخان

تنشطُ الجياد قرب النافورات
يصهل الماء
متاحةٌ الصحراء
والنبع عين ديك يموت

صافية في عزلتكِ
مديدة كالنهر
إلاّ انّ المشهد يتفكك
.. أيّ حبالٍ تخطّفتني
الموجةُ سماءٌ تعمى
والربّان يعالج قمراً يذوب مثل حبة
أسبرين

يعدّني الرملُ والدخان
تتسقطني الصحراء
يقول لي ظلّي:
يا شجرتي
أقولُ لظلّلي:
يا بيتي
يا ساحلي، يا هاوايي
يا جنون غوغان التاهيتي
يا قوس كلّ قوس

هونولولو
هلّلويا!
زرقةً، نخلاً بأجنحة
عُيوناً سمكاً
مديداً تراني، كساحل

كنهر،
يدايَ في جيبيّ، أصفرُ لحناً وأركلُ
الحصى، خفيفاً، أبتسمُ لي وللمرايا،
أُمسّد شعر طفلةٍ، وأسعف سيدةً توشك
على...،

أورجازم
أورجازم
السريرُ وركبتكِ تلمع تحت يدي، تحت
عينيّ، تحت شمّي
كلّ شيء ليس هو كلّ شيء
ثمة ما يُنسى دائماً
ثمة ما يقع..
أتفيأني والمشهد ينفتح دائماً على ما يشي
بالنسوة:
يستحممنَ، يعالجن الأصص، يعولن،
يتعثرن، يندلعن كالعباءات.
والمشهد ينغلق، عادةً، على ما هو فاجع:
قطة تجنّ في الريح، فالج بأصابع مديدة،
زهرات ينفخن كالقطط،
وأنا الخشبة.
يمسح الساحر على كتفيّ، أُفكّر:
أحصنة

سلاسل
رايات
تندلع الأحصنة
تجمح السلاسل
تشهق الرايات
•
مشوّشٌ نصّ الوردة
أحاول نصّ الحلم:
سوداءً، اتذكّركِ، عائمين كنّا، تدثّرنا البُحة
سوداء بمحاذاتي كنت من الرغبة،
رجراجة كموجة
تفرمين الوقت واللذة
وما بيننا بحّة وبوح:
اسهري.. أقول لكِ
تقولين: أسهرُ، وأسهرُ، أقولُ، أنا
مبكّرةً نامي ومبكّراً أنام
نسهر ومبكّرين ننام

البحة فوقنا
سوداء أتذكركِ
شفتكِ كمنجة أوقّع عليها بلهاثي
ورغبتكِ تشعّ:
الغزلان تنوس في الأجمة

الوترُ عيادةُ الأعياد
السماء احتكاك نيزكين
الشارعُ بناتٌ من أجل لا مدرسة يذهبن
الأفقُ حلم أقنى يُقيم البريد
وأنتِ!
هكذا، لا أُسمّيكِ في النوم
يا نصّ بحّتي:
بيضاء تنهضين من ركام النعاس واللذة
تنهضين..
نصف قامتك نعاس
ونصفها الآخر حلم

•

الرمالُ ضجيعتي
والرماد توحّم الطبيعة
الستائر الرعشة الأخيرة لطائرٍ يموت
أفترسُني وأمضي لا ألوي علي
يلعقني الحطام
ينضوني الخرابُ مهرجان شلو

الرملُ أبجدية رخوة،
يابساً ينفتح الطينُ على جذور تيبس
جزيرة تنأى
وريش يتحجّر في الطريق إلى الرمد

النبعُ عين عاطلة عن الرقرقة
والطيور دمىً يعلّقها الهواء
الصيّاد طفلٌ مدجّج بالدمع يخبز القمر

أنتِ أولى العجائب
رابع المستحيلات:
عنقاءُ أُخرى، نبيذ دم النجمة، سرّة النهر،
حليب النحلة.

أُصوّبني نحوي
الخيلُ بريّةٌ تستريح على قبر
السلاسل ندم يصلصل قرب القلب
والمدينة غبَشٌ ينحلّ فوق الزجاج
المشهد يكرز
والغابةُ تكتمل في هسهسة يباس الخشب
لا أنضوي..
الكهفُ إبط عزلة لفّاء
وقلبي اغتلام نأي
بقلبي أواقعكِ وأُزنّر الروح بالموجة
فليطل الرمل
ولتتقصف أجنحة النحلة
•
أشقرُ عوائي

وأشقر تلعثم القلب
وأشقر دمعي
أيساما
أي ساما!
ليس إلا "ثمّتكِ"
: المقهى يندرج في الغبار
والبحر دميةٌ خلفية لصورة تذكارية
يدي على كتفك ولا لمعة.
القاعةُ فارغة
الجمهور غبارٌ ينهدم
والمشهدُ دمعةٌ تتسع لكلّ الخراب
الخرابُ، أحياناً، هو أن يطفح زغبكِ زبدياً
في الضوء
الخراب، هو أن أتبيّنَ نهدكِ مشرئبّاً في
الظلال البعيدة كرأس ديك.

النافذةُ همسٌ مسبوك، يا نسجَ نأمة
يا شهد ما لا ينثلم من النجوم
يا انثيال ما بينَ شرفةٍ ونافذة
يا طفوَ قمرٍ في قيامة الورد
يا وفاء السراب:
لقد شممتكِ قبل أن تولَدي

الطريق اليك ينبوع منطفىء وأحلام
مذبوحة
العماء سالك
أحتزُّ رأس الأفعى بيد وبالأخرى أُعلّق
فانوساً، لأتبينني في الغمر..
وجهك يرفّ
والطيور لم تُبتكر بعد
....
وكان الأفق منديل حوذي ضجِر!

العاطل عن الوردة في مهبّ أسمائه

أكتبُ في الظلمة
حيث فضتكِ تشعّ في حبري وتلف حلكة
يديّ الغارقتين في غبار سهومي وترهف
لقلبي الذي يتهجاك في الأقبية والفنارات،
في الدرس وفي الحانة.
انظري بمائك حجارة عماي، والمسي
بحفيفك الغضّ خشونة عوائي المديد
كقطارات منبوذة في صحراء هائمة،
أنيري فحم 360 يوماً في يومي الواحد،
بقلامة ضوء
يا قامة حلمي
واتكاءة وردة إلى شذاها
.. أنا عاطل عن الوردة في رملي الدائب
ومهبّ سماء أسمائي البرّاق،
أرمّم ريشة في غياب البريد وألوّن كآبتي
طابعاً

أسوق قطعان الفحم إلى منابع البياض
وأرقق طبع السموم في مخاطبة عري
قلبي، وأغسل الموسى من دم الحمام،
أنقط الصخر بغلالة الحليب والغسق وأفتح
العشب على الأعمدة المرد في ظهيرة
منحنية على استقامة الإسفلت والحصى
الذي يغني في الأفاريز موال التغضن
الطويل.

ميدي بي يا ساقية الرجرجة، يا غصن
نجمة نائية
انفضيني من حجارتك الراعفة في لساني،
وشدّي على قلبي بندى لهوك اللاهي،
يا تلعثم اسمي في تهجّي عطرك
....
وقت أنت بين الوردة وشمّها
بين الحمامة وهديلها
بيني وبيني و.. بينك
وقت أنا ـ لسالفة ـ موقد شتائي يبرد،
طفل يلهو بجمرة أيامه، صبار يتنفسه
الماعز
دليني عليّ في زحمة العدو إلى الدرس
والوردة والبار والعيادة والبيت

و ...إليكِ
دليني فأنا يقين التردد في الإفصاح عن شجرة روحي الملتفة
أنا نواحُ جرس الجُمعة في المدرسة
وشجارٌ متصالح
أنا إفصاح الغموض عني، فافصحي عني فيك...
اجلي غبار تكلسي في الدروب المفضية إلى تخوم فضائك وانصعاقي في مهرجان بروقك الساهمة
علقيني هواءً ساهماً في تنفسك، وحُباحب في عماء شجر الينابيع المنطفئة، مرآة لارتعاشة شفتيك وهما تكذبان في جنوني، دفتراً يطفح بجهل أسرار معانيك.

فرحي مرآةٌ مطفأة فزئبقيها يا فجر جبال عذراء
سلميني مخفوراً بالدببة لغابات، لأجوس في رمال ساعاتي المتحركة
يا ثبات اختبالي واختلابي
ارشديني كأغنية رمل لمسامع المطر، فبي يتمدد الرماد طويلاً ويبكّر كالديكة صائحاً

على خرابي: أن التمعْ في الحلكة الناضجة،
ناكصاً أشرئبّ، كابياً كالكآبة، ملتمساً ساتانك يفوح بالبروق..
يا صابونة ضوء تفرّ من أصابعي في بلل الظلمة..
أيامي جلدُ ليالٍ لم تستحم، منذ سوادات، بنجمة، فافركيها بزعفرانك اللاهث النديّ الرجراج كحليب فجر فوّاح واكسري صلافة جزري بمدّ رجرجتك الواهنة، يا رملتي الندية، فجبيني أجيالٌ من الحمّى ورئتاي تناسل التراب في غياب الحديقة ورؤاي مسامير تُعلّق في جدار مياهي..
فلا أجري إلا كدمٍ يُثلم في النهار مثل كعكة يابسة، وبرزخ يُعبّأ بالنشارة ورقاب الحمام المائلة المتصلبة.

تربو العصافير
فأتذكّر قميصك يستر تغضّن السماء
وأحني ذاكرتي في مهبّ فصولك الألف
.. الشتاء والصيف قُفّازان لأجل يديك
فكيف تجرّأتِ على شبكِ أصابعكِ فوق منضدة في درس منسيّ

وكيف سهوتِ عن الربيع يعيثُ، بالخراب، خضرةً
.. فمن أجلك تنهض الأصابع رشيقةً في ظلام مصيرها
لترسمَ شظف الفصول القادمة وهي تتلجلج عند أعتاب نداكِ الأخضر
ومن أجلك أقضم وقتي تفاحةً نخرة
وأفتضّ الأحاديث رمّاناً يابساً
رانياً إلى قلبي يلهو بجفافه قرب خجل مياهك.

المفرد في جمعه المشوّه النابح

تَمورُ الكليّات، المقاهي، الأكشاك، غرف انتظار الأطباء ـ ليفرغوا من إفراغ مهاراتهم المتدنية ـ، محطات انتظار الباص، بمهرجان النفاق الأنيق المزركش، مثل سيرك يرتدي سترة مهرج فاشل ويضرب ببغاياه عميقاً في غبار المدن المنسية، حيث العظايات تجاور الجوع والأسمال وصفرة الأكواخ والأوتار المقطوعة.

كم يمور هذا السيرك برجاله الفاقعين ونسائه المنكمشات الحزن ومهرّجيه المنكسري الظلال، بحيواناته المدلّاة من نعاسها، الكاسدة في أقفاصها والمتخمرة في انتظارها لتسلية زائرة.

أرى رقعة الشطرنج تتسع
تتقاطع ألوانها،
تختلط

ويزحم مربّع آخرَ، فتصول الطواطم العصرية خارج أسيجتها..
وأنا ناءٍ عن الشطرنج، السيرك، الحشود بعيونها النابحة والنساء بأنوفهنّ الطويلة المستدقة، أسحل خلفي جبل كآبتي كأعرابي يضلّ الطريق في ضواحي المدينة.
أنشر مظلتي لأتقي دم الأعداء وعيونهم النابحة
أحتكّ بالصباحات المراهقة،
أحتكّ بكآبتي وأحاذي الزجاج لأهرّب الهواء من الهواء ولأحتجزَ المسامات المؤنثة الشاغلة لمقاعد السيارات والدراسة وأفتحها مثل طرد أو شفرة يتلقاها جاسوس مطارَد في داخله:
أفتح السرّ على الكتمان
أفتح البوح بصدىً أبح وأنشره بريقاً، زغباً، طفلاً أشقرَ، لباناً بين شفتي مراهقة

... وأجرّني مني، لأمسك بأسارير توافقي وأنفضها بعصا امتعاضي في ظهيرة سلالات سخطي، معتذراً بدمي عن انحراف كآبتي عن طريق فحمها

الأخضر، مباركاً سهوم السحلية الذئبي، ممسكاً برقبة ابتهاجي لأحشره في ممر السخام، أستنطقه:
ـ لمَ أنت مبتهج، أمرّغهُ في غبار سهومي وأرسله إلى مدرسة دائبة لأعلمه الإصغاء إلى سخام يتنفس في الأروقة والقاعات والحدائق المطلة على الدماء والمكتبات التي تراجع سيَر القتلة بانحناء مهذب
لا يليق بسوى كهول يستذكرون جنازاتهم تخترق الأسواق، دون أن يتمكنوا من شراء زهور لقبورهم الحاضرة.
•

أُصغي إلى غياب مجاور
حيث الحضور يخطّون بلعابهم مصائرهم الهشّة
ويغنّون بوقع ذبابة حائمة، تتوهم الزجاج نهاراً

أصفع المعنى
حيث (للكلمة رنين معدني صفيق)
وأُعاجل النباح بالدفتيريا

حيث لا اسم لما سيرتكبه القلب باسم
غابات تنهض عند تخوم التشوّش
لا أُسمّي ولا أُوضّح:
دمٌ في طاسة الساحر
ومزمور لم تخرجه الكليّات بعد
نهدٌ يربو كسنام شهوتي
أُنثى عاطلة عن الأنوثة
أفعى تتصالح مع النعناع
ريشٌ يغطّي قاعة المحاضرات
فيقوم الملقي وبنسغ ساحر مغبرّ
يلقي أفاعيه في الدفاتر الفاغرة، فتحكّ طالبةٌ غبيةٌ جلدها لتستحضرَ طيناً ينأى وذاكرة لا تذهب أبعد من رائحة مطبخ.

لا أُسمّي ولا أُوضّح:
تغضّن الروح والتماعة الشوارع
ازدهار بعير أجرب
اذكاء القطران!

وانا أحتكّ بي وأرمق الجموع بقلبٍ شزر لأمنع قيام الصباحات زجاجاً نظيفاً، منافقاً، ولأقيمَ الفؤوس عند حافات الدم الذي يتهيّأ للإنثلام،

أُقوّض الزجاج الحليق الملوّن وأفتح العسل على كافور شاي الكليّات لأقوّي ذاكرة البريّة وهي تستنسخ عشبة مشعّة ضالة تذكّر بانسكاب مراهقة خارج جلدها
خارج ثيابها..

وأنا جمرةً، جمرةً أنسكب في اربداد سحنة الريح،
شذرةً، شذرة أنفرطُ كتاج ملك حزين،
تنسلُّ حاشيته في الليل
،
إلّاهُ، إلّايَ.. أدرء القصب والحيّات
والعقارب السود
والوردات إذ تُطبع بالأسود والأبيض
.. يا ابن المقفّع:
جرذٌ أسودُ، فقط، يا ابن المقفّع
ولا بياض إلا في حجارة الدومينو
حجارة الأرض الأخيرة يغامر بها مجنون
•
أنأى عن اللعب
حيث الأقفاص تستر الحيوانات
الأسد والفراشة في البرج ذاته

لا أنام
حلمي يتكرر كقطار يكدس جثث
الحيوانات
تفوح النوافذ بالأشلاء
عظمان متوازيان
قبران متوازيان
للتكرار
.. الرمل ينسفح مثل وقت أعرابي
لا فرق بين الرمل والوقت والأعرابي
الرمل، الوقت، العشب
ينسفح تحت الفتيات الكسيحات وهن يتقاذفن قلبي مثل وردة يابسة في حديقة مستشفى منعزل
متعثراً قرب الأصابع ـ القصب لمرضى تلفهم الصفرة والغبار، مضائين أتبينهم من خلل شباك العناكب الناعمة تتدلى عليهم
هكذا، متعثراً
أبتهج بكآبتي
متيحاً لصوفها نسج كوكبي
لأصعّر القلب لكل ما هو خارجه
مطوّحاً بالشكيمة على الجموع التي لا أرى
ضاحكاً من الشبابيك

ممجداً الستائر
مُطلاً على عري الظلمة..
فلتلبطي، هكذا، بين يديّ ناصعةً وقويةً
كالقرش
إدمي راحتيّ، لأُحنّي ما تبقى من مواربة
في جلد الإعتراف

لا اعتراف إلّا على الكرسي الكهربائي
ولا عفّة إلا للحزام
ـ الحزام يجلد الشهوة حتى تزرقّ من غلمة
ـ
....

أزرق ورق الرسالة
وزرقاء شهوتي
أنثرها على المدى الترابي، وأترك الفتيات
يعزفن الهواء
، غير مُبالٍ أجتاز الرُكبَ الحاسرة
للمراهقات
رامقاً البريد الراكد بخيبةٍ ثاقبة
مُعبّئاً يومي برنين لا يصلني

.. برزخ بيني وبيني هو أنا

أترنّم لحاءً منكسراً فوق حافة تتآكل لما تبقّى من زرقة تُشبه الجلد
أُضلّني لكي أقطع الجسور ورائي
وأمدّ القناطر، بعيداً، عما ألفتْ أن تستند إليه

•

هل يتخثّر الهواء؟
هذه عيّنة من جنوني ومقطعاً من ورودي
علّقوا ما شئتم من عوائي في المختبرات
وعاملوا سهومي بكلّ الحوامض فلن أشفّ إلّا عني، وعن أرياف تمرّغت فصولاً في تراب الذاكرة
عن امرأة علّقت أرضي ٧ سنوات في مشجب ملابسها
كأيّ قميص مغرٍ
هل أُتيح لأمرأة أُخرى أن تعلق سمائي
كأيّ سترة مغرية؟
وأُتيح لأخرى أن تعلق نجومي
ماذا سيبقى لي؟
أيّ رمل سأرتقه لأهشّ به على ريح
جنوب حزني

وأيّ أغصان سأحرّكها لأذبّ عن أطرافي الزرقةَ
ولأكشف عن وجه الصباح المندّى
بالعصافير
......

لم أكن أعلم أن الخيزرانة التي كانت تهوي على كفيّ في شتاء المدرسة الإبتدائية، كانت غصناً يلمّ غناء العصافير، وأنّ "طعمة"، المستخدم الكهل، كان عليه أن يتصيد أعداءه، بدلاً من تصيد التلاميذ لعصا المدير

صفيرُ العصا في رأسي يزاحم غناء الطيور
العصا نصف العصافير
وما تبقى فرارٌ وهدم ريف
•

أجتازُ المنظور الذي يتحيّنه الرسّام
وأكسرُ جرّة الغروب الباردة
لأستعجل تفاحة السكر
حيث امرأة تنحني على مصيري

أرى رائحتها غناءً شفقياً
تخلطُ ما تبقّى من زرقتي بفضّتها الفاغمة..
تنحني، هكذا، مثل قلبي
وتستقيم رمحاً مثل وجعي
إذ تنهض حنّاءً..
أيّ نحاس صافٍ يشوب هذا المنظر
أيّ بحر يقفز إلى رمل ذاكرتي
أيّ مثّال يشهق
إذ أراكِ
......

فلّي غابتي
أنحني لتتبيني دروبي
أيّ نقوش ستزحم عينيك وأنت الساحرة
كيف تفكّين رموز مصيري وأنتِ العرّافة
أنحني لأنثلمَ قبل قلبي..
كم وددتُ ألّا أروّعكِ ولكن الغابة تحترق
وليس بوسع
القلب أن لا يشمّ رائحة الخشب

اعبري ماءكِ فلأيامي شكل زورق في البر
أعدّها لتحملَ ما يتناثر من بريقك على سواحل ظلمتي

فلأحتفظ بليلي ليبقى القلب يتلو ضوءَكِ
في اربداد مدى الفحم
ولأصلَ الوردة بتراب البريد
علّ الزحام يختفي
ويتنفس الهواءُ الهواء

نهايات 1985

لا تَذكار لا ذكريات لا تذكّر

ذات ظلام كنت أربّي الشمعة
لأحرسَ بها وجه تمثالي
وأنا أرتعبُ في صالة التماثيل الباردة
ـ التاريخ برد معقم يخترق عظامي ـ
ليس ثمة خطى لآدمي، لحَيوان
ليس سوى رفيف الأزمنة الضجر يتمطى خلف الزجاج
كم لامع هو الزجاج ومحايد
كم مائت.. لا يعكس لا يمتص.

وأنا أربي شمعتي
فينوس تنسكب بين يدي المثّال
فينوس تعطي المطرقة أُبهتها
فينوس شظف.
أربّي شمعتي
ولضوئي صدىً والتاريخ بوق
عالياً ينهض ضوئي شجراً من فصيلة النجوم

تنادمني الأنبذة في الظلال ـ الغزالة
يسطع السهلُ، وليس ثمة إلاّ الطريدة
لامعة
عالياً ينهض ضوئي

....
السهل دمعتي النازلة
أتبين فيها جنيات طفولتي، ألسنةَ ذعر.
ليس ثمة حليب والغزالة تنأى
وبين الحجارة شمس تغيب
لينهض ضوئي مديداً، تتبحه قامة الحزن

قلبي سّلّمٌ، لمن؟
للرمل
الحجارة
الأبر
الضجيج
الطرق
المسدودة
الخريف
والجلطة

لا تذكار لا ذكريات لا تذكر
الوردة شيء أحمر ولا شيء عدا ذلك

والمرأة عباءة تنام بها الريح
المتحف سوق الأزمنة والحجر الكهل،
تنتابني ذات الرطوبة لدمٍ في الظلام كلما
تذكرتُ متحفاً
الهواءُ الكهل يعبر وجهي
فأُزيح الأفق ستارة والمدى اختناق
أفوحُ بي والآخرُ رغوةٌ في الهواء الصخر
أتنفسُني. الآخرون رائحة ولا وقع للوردة
أولمُ الغيابَ ـ المائدة شاشةُ اللعاب ـ،
تصوير شعاعي ولا صحة تتضح
الجوع ارتفاع مناسب والفراغ لحم الهاوية
الوسواس يبيض الشكّ
ولا ريبة لديّ في ارتيابي
الهواء لوح أخرس
ولا لغة
التماثيل في نزهة دائمة
وقلبي آنيةُ دمع
اكفأي اعترافك لأصلني ببرد زرقاء
وأعياد ابتكرتها قدماك
الربيع خيط في ثوبك
ارخي!
لينهدم الخراب
وتمسك فينوس عن الحجر

والبحر عن الصورة
ارخي
لتعرقَ التماثيل

بدايات 1986

قنوطُ الآمِل

إلى عبد الرحمن طهمازي

1

ألبِسِ الروح خفين وقفازين
فموسم الطبيعة الهرم
يكلل البراري بالوخز ويحتفي بالمخالب
ثمة الأفق ظفر يشحذ ومدية تقوّم ثلماتها
فادخلِ الطور أعزلَ
إلّا من قلبك
ربما تستعمله سهماً
لإرداء غزالة أو فكرة
أو نجمة ساهية

2

الليل والشبّاك
والقمر ـ التكرارْ

يضيءُ وجه الروح
في قفص الصبّارْ

3

والشمس نسخة فاضحة
للدوام، البيت، الصغار، المقهى وربما الكتاب
نغذّ أعمارنا لفخ تنكرت له البراري
ونبذته غرائز الطيور.
تحت مظلة باص ـ نتقي بها الانتظار ـ
تذكرنا غزالة تعرج في السهب
وخطماً رطباً لحصان بري
يُحمحِم قرب ساعاتنا
تذكرنا
وكدنا نذرف القلب

غير أنّ النسيان ...
لكزَنا

4

خلف ذاك الباب، بابٌ
ثمّ باب
كلما نُنشبُ صوتاً، فيه
يزداد سراب*

* [نحنُ من سعدي إلى عبد الوهاب
نطرق البابَ فلا يأتي جواب]
عبد الرحمن طهمازي، ديوان "تقريظ للطبيعة".

هَرَم

تهرمُ يدي
بين رفع السيجارة إلى فمي
والتلويح
لشراعٍ يترقرقُ في الأفق
كدمعة تمتدّ من أوّل سلالة إلى جيلي

1987/11

كوكب

أرى لكوكب
نصفه ماء
ونصفه الآخر
تراب
أرى ـ ولست مدهوشاً ـ لهذا الكوكب
الذي أعطى ترابَه قلبي
ومياهه عيني

1987/11

ملحقان

1- زهور برية

وهي منتخبات من قصائد، كُتبت
في الفترة 1978 - 1988

•
1

بمِدادٍ عسَلي
لم أكتبِ الكلمات وفقَ الأخيلة

بمدادٍ عسلي
راوغتُ قفرَ الكلمة

•
2

دارتِ الدنيا،
كتبنا الشعر، همنا بالنساء
وتغزلنا طويلاً بالوطن

•
3

سأكونُ أحلى الصابرين
.. سأفتحُ دُرجَ الوطنْ

أستخرج المطواةْ
والوردةَ المُلغاة

•
4

مُتلبّساً ببراءتي

•
5

سلمّيني جذعَكِ الآنَ
لأطبقْ فوقهُ جفني
بعينيَّ أهزّهْ
•
6

طالعاً من رَحِمِ الأزمان
قرآني القصيدة
نافخاً في جثثِ الكلمات من روحي
وصوتي...
•

7

كم أفقتُ على منامٍ سافلٍ لا يطبخُ الحلمَ الوحيد

كم أفقتُ على بياضِ الحلم نيئاً

•

8

مُطرقاً شَمَماً
ومتّشحاً بمجدي

•

9

(.....)
لا تَحنِ الجبينَ لطلقةٍ
واحنِ الفؤادَ لخطوة الأنثى
وكُنْ..

•

10

أيّها الدمع الذي يصطفّ فيّ
انزلِ الآن، ودعني
أُكملُ النخبَ الذي يُشربُ فيّ

•
11

في ما يجيءُ من النساء
خسِرتُ ظلاً لاتكّاء القلب،
مقهىً راسخاً في الريح، ورداً
لاتقاء تهافت الأشواك
في حقل الندى

•
12

أوهى سنمضي تحت عصفِ فراشةٍ!!
•

13

أمضي لأُمسكَ معصمَ الأسرار
خطوتيَ الزمانُ
وأُفقيَ الأقمار
رتبتُ الخريطة،
سقيتها خلقي
وعنّفتُ البحارْ

الليلُ حاشيتي
وقامتيَ امتدادٌ للنهار

•
14

أمضي ولا أمضي
فمهما سرتُ..
تبقى الأرضُ تحتي خربة!

•
15

دبُ فيّ الرملُ

والصحراءُ مستقبلُ أعضائي
فيا ربّ البحار، الأنهر، الخُلجان
امنحني الندى من كلّ ما تملك
وانثرْ ما تبقّى من غبار العمر في بستان

•

16

يا تُرابَ الخلقِ
يا نبعاً حزينْ
دُلّني
قد تهتُ
والقلبُ سليلُ التائهينْ

ست قصائد

أبي

ربما أبي رائحة المساء المرشوش في
القرى وريّا فجر يقطر دعةً ومغسول
بالديكة والسعال القصي لعامل طين
ونهوض النسوة إلى التنانير
وترجيع خضرة في الأقاصي،
ربما أبي تفصد الليالي بالمواويل ودخان
المضائف
وطفو الفرات في بكاء الفواخت

وأبي ..
الأغنية متهدجة تطرق باب الأميرة

....

وأبي.. مئذنةٌ
يرفع القلب أذاناً للحنين
وأبي كأس شموسٍ
ويدٌ حالمةٌ تنشجُ طِين

وأبي من فرط شوقٍ
يعصب الروح بتلويح الفرات
ويغني لبلاد القصبِ
وأبي
قدْحُ حزامِ التعبِ

جنوب

كأنّ الجنوبَ أبد
وكلّ الجهات بدد
....

كأنّما الجنوبْ
التاجُ بالمقلوب

قمر الشاعر

إلى يوسف الخال

قمرُ الشاعر حبرٌ
والسماواتُ يداه
دمهُ الغيمةُ والأفقُ صداه
يثبُ البحرُ إلى ورقته
لكأنّ البحرَ رهنٌ بخطاه
فيشاء الموجُ، إنْ شاءتْ رؤاه
وله الساحلُ والزرقةُ
والزورقُ تاريخ مداه
يصل الرايةَ بالريحِ
وبالأفقِ هواه

شاعرٌ مسكنهُ ضوءٌ
وأقمارٌ شَذاه!

الطلسم

يا غموضَ الكهنة
أيّ نجم يفتحُ الطِّلِسْمَ
يهدي السوسنة
كلُّ ريحٍ مدخنة
كيف لا يسقطُ أفقٌ
يا غموضَ الكهنة

وردةُ البيتِ التي أسميتُها بنتاً
تسمّي العشبَ وقتاً
ومياهي مطحنة
ليت حبّي مئذنة
ليت ما أرفعهُ الآنَ، سماءً ساخنة
لأذيبَ القيدَ ريشاً
لرياحي الواهنة

نشيد البرتقال

كان في البدءِ، نشيدُ البرتقال
غزَلاً غضّاً وأقماراً تُقال
وقتها لم تنهض الخيمة
كون البرتقال
سقف هذا الكون
والأرضُ ظلال
....
غير أنّ المدنَ الآن، تبدّت
مثل غزلانٍ أُعدّت للنبال
طفلة تأتي من الأدغال
يُضنيها القتال
،
أصعدُ الآنَ، لأستشرفَ
خيباتِ النهار:
وردتي غابتْ
وماجاءَ بريدي
بسوى كفّ الغبارْ
والذي أسميتهُ البدرَ، تبدّى

جثّةَ فوق المخيّم
والذي أسميته البحرَ:
دوارْ
فانتهينا مثل عصفورين،
قلبي والمخيّم
والذي حولهما
غابةُ نارْ

نشيدُ النهار العالي

"البزوغ":

لي دمٌ يرضعُ من ثدي البراكينِ
ومن حمّى الطبولْ
صرخةٌ في عمقيَ الأقصى، تقول:
سترى الآتي،
وكلّ الآخرين
غيمةٌ شوهاء والآتي تحولْ.

أستوي في هيأةِ الزلزال،
أقتادُ المدى
وأُواري في أُواري
في دمي
حفنةً من شمع تخطو للأفول

في دمي شمسٌ
وكفّي غيمةٌ
ومسيري شجرٌ تلقاهُ في كلّ الفصولْ

شهوتي شمسٌ
وأُنثايَ أُفُقْ
والمدى نسلي
وأرضي ما أقول

انني آتي إلى الدنيا لكي
أكتب الدنيا على شاكلتي
وأُسمّي نسلها باسم دمي
وأُغذّي صخرها نبض الحقول

هذه الدنيا لزهري سلّةٌ
ويدي نبعٌ
وآذاري يطولْ

نحلةٌ ظمآنةٌ هذي اللغة
لرحيقي وشذى أخيلتي

نحلةٌ طافتْ على زهر فمي
تتوخى النسغَ من زهري البتولْ.

كلمات ثمّ كلمات

1997

وبما لا يخلو من مرارة، قابلة للفهم

أفكر أن الكلمات الأساسية

التي تعبر عني، متضمنة

في صفحات لا تعرف من أكون،

إنـها ليس في تلك التي كتبتُ.

بورخِس ـ من قصيدة "كتبي" ترجمة: ب. م

كلمات الجراح الطليقة

أنا كلمةٌ

يتهجاني الآن

كائنٌ ما

أوكتافيو باث، ترجمة: محمود السيد علي

• ليلي طويلٌ

كطريق

، بلا نجوم أُصافحك

والأيام أسمعها تهوي، مثل زجاج القناديل

على حصىً بعيد.

••••••

• هذا الجسد الذي يسير

ينحني. يرقص. يصافح.

يعانق. يحتفل

هذا الجسد سبورةٌ للعقاب الطويل.

••••••

- أسير تحت ضباب فجر أخضر

أسيرُ في غسق يلفّ نوافذ،

تعزل الليل عن فتيات بملابس النوم،

وحيدات

أسيرُ إلى كأس عطشى لأصابعي

أسير إلى ينابيع تَوائم أشجار تحضن

أعشاش البرق

أسير ويدي في قفاز ذهب تومىء للأعالي

أسير غريباً

إنني أسيرُ حرّيتي

••••••

- قالت، طفليَ الأفق

حبلتُ به بمؤاتاة البرق والعواصف

سهرتُ على مهده المقصوص من ريشٍ

تتخلله يدُ النهار

.. سأقرأ عليه سيرة الرياح،

أُربّيه لحرب تطول أشرعتها

من شرق الأقفال

حتى مبسم الحرية

••••••

- غُلّقتِ الأبواب

والمفاتيح دُفِنت في ما لا تصل إليه

أصابعُ أو ضوء

وما يُقلّب قلبي في الرماد أو الجمر

هو معرفتي أنّ ـ خلف الأبواب ـ

ثمّة بحراً

أعرف أنه أزرق

ونساء محتفلات،

وشراعاً أبيض

وثمّة...

حرّيتي تلهو

••••••

- لا آلف ولا أؤلف

توأمُ الريح

وكلّ ما لا يسكن

شقيق البراري،

خيمتي شراعٌ

وعنواناتي لا تُحصى

إنني طريد حرّيتي

••••••

• قال.. ألم تجد في كتاب "ابن سيرين"

ما يُفسّر لي هذه الشمس المتدلية

في منامي كقفل هائل

يرنّ فوق أبواب

ذبُلت مفاتيحها

••••••

- أريد أن أركضَ، يا إلهي

أركض

لا كمُطارَد

فهذا ما فعلته طوال حياتي

••••••

- الرياح إبرتي

والسماء خيوطي

ما أبحث عنه هو ثوب الأرض

لأدرزه بأمنياتي

يدي ممدودة

يدي ممدودة

يقودها دمعُها

ويضيئُها فقرها إليك

أُناديك بضراوة اليأس

أُناديك باختناق أزمنتي

إلى ما تبقّى من هوائي

عندك

ربما

ربما

كانت حياتي خطأً

لا يصحّحه

سوى صواب عينيكِ

السنبلة

سأرمزُ لكِ، منذ الآن

بالسنبلة،

فكلٌّ مواصفاتك لديها

من الذهب حتى الدقيق

.. أنا الذي أدّعي حيازة

الكلمات

بكلمة واحدة، منك أشبع

الشتاء والصيف

الشتاء والصيف

يرنوان إليك،

كذلك الربيع والخريف

أنت فصلٌ خامس

جسدك

جسدكِ

ضوءٌ وظل

شاطئٌ ولُجّة

جسدكِ

جبلٌ وهاوية

جسدكِ القشّة والغريق

عشب جرائمي

عشب جرائمي

علا...

اشرأبّ إلى منجل

صفحك

حبر أعمى

حبر أعمى

ورسائل عاطلة

هذا كل ما تبقّى بيننا

أيام ضالة

أيام ضالة

أقطع الهواء إليها

بأكوام التبغ

بالثقاب الذي عبره، أحنّ

إلى إيقاظ ذكريات الحرائق

في بال الغابات

يدٌ تتامل مساءً

مساءٌ من ريش أحمر

يُشبه شمساً قانطة تسيل على الجدران

هذا المساء إبنٌ مدلّل للأسرار

يربّى في حدائق عالية،

يقيناً أن هذا المساء، إبن التكرار

هو ذاته وبيده الرخيمة

هدهدَ أعشاش طيور في بيوت وأشجار
أور

وقاد خطى رجل إلى حانة في بابل

واستنهض آخرَ للكتاب أو الصلاة

كم شغل هذا المساء من أزمنة

وكم شُغِلَ بالخطى

....

المساءُ ذاته يزحف منشغلاً بشاغليه

ويدي ساهمة، تنظر غسقاً يعدّ الكمائن

للأجنحة، وتستعيذ بينبوع نجوم

من تُراب ظلمة راعفة

الأبدية

الأبديةُ، تكمن

في النظرة الخاطفة للأشياء

في ارتعاشة

يد منتحر

تُملي ندمه الأخير

في مرآة

تحتفظُ بصورته

ملفوفة بأسرارها

الأبديةُ

في نظرة عينيك

من خلف زجاج عربة قطار

وفي يدك تسقط

من تلويحتها

الأبديةُ

في استغاثة براعم صدرك،

حين تتفتق،

في سرّ مهموس

يصلني بسرتكِ

على حدّ حلمي

مُسرتسل الدمع، بين يديك،

مخضلّ القلب،

كنتُ أبكي لكِ عليكِ،

في مشهد ممتلىء،

طافٍ،

مترقرق كما العطر

إلا نه بدا كنشقة عابرة

في وردة أبدية،

إذ.. فجاةً

حالت بيننا

صحراء من السم

.. كان عليّ أن أقطع هذه الصحراء

لأصلَ إلى منابعك

السم

والماء

وما بينهما، كان قلبي عارياً،

مُتعَباً،

القمرُ، زائغ النظرات

أقّلته الريح

كاشفاً ليلاً أزرقَ

كأنّ أفعىً قد جلدته

بإمرةِ الرمل

كلمات العزلة

"قال هذا فراق بيني وبينك.."

قرآن كريم

قيل للإمام الصادق:

خلوتَ بالعقيق وتعجّلت الوحدة.

فقال: لو ذقتَ حلاوة الوحدة لاستوحشتَ من نفسك.

"كان الناس ورقاً لا شوك فيه،

فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه".

أبو ذر الغفاري

سُئلَ الشبلي عن الأنس، فقال:

هو وحشتك منه.

إسدال القلب

أسدلُ القلبَ

وأُلقي الليل فوقَ الكائنات

، حينَ لا أُبصرُ إلا شجراً يطلعُ

من ماء السُبات،

أسدلُ القلبَ لنأيٍ

وبكفٍ يرتديها شبَقٌ كالعصفِ

أفتضُّ الحياة

وحشة الأعماق

مؤتلفاً مع وحشة الأعماق

طريدتي الآفاق

في المرآة

ـ هل تغيّرتُ كثيراً؟

: لم أزَلْني!

غير أنّ الشيبَ شابَ الورد

والغصن الذي قالتهُ أشجاريَ عنّي

لم يكن غير ربيعٍ لغرابٍ،

ساعدٍ يضفرُ أسماءَ

ورايات لحزني

غضب

....

رايتي صفحةُ اللهبْ

أسفرَ الناسُ عن رضىً

فتقنّعتُ بالغضبْ..

إلى ع.ع

- في رحيله -

ربّما، وحدكَ، تجلسْ

هذه الساعةَ، في حانٍ

وترنو للطريق

ربما تجهد عينيكَ، لتبصر

في دُخانِ الحانِ

وجهاً لصديقْ،

وتحدقْ* برماد المائدة:

ما تبقى غير كأس واحدة

ليس بي قلبٌ لندمان العويل

فأنا مستصحبٌ فيَّ ـ الرحيل ـ

* جزم الفعل، هنا، جاء لضرورة الوزن، وقد ورد ذلك عند إمرئ القيس، في قوله: "فاليومَ أشربْ غير مستحقبٍ..." إلخ البيت، كما عند غيره من الشعراء.

حلمي

كم واسعٍ حُلمي

يعدو بهِ نجمي

يعدو ولا يقطعْ

جهاتِهِ الأربعْ

....

سأشكُّ في حُلُمي

إن لم يغُر بدَمي

نوافذ مضربة

النافذة التي لا تشفّ عن امرأة

ليست بنافذة

... زجاج من ألمع ما يكون

أضواء،

شرائط ملوّنة

أصص بأجمل الأزهار

لكن.. مع ذلك كلّه

فهذه ليست بنافذة..

أين النظراتِ الحرّى

أين التلويحة المبهمة

التي تعني ولا تعني

أين القامة التي تروح وتجيء

ـ وإن كانت لا مبالية ـ

أين اليد التي تتفقد الأزهار

في أصصها

أين صوت اصطفاق النافذة

غضباً، أو ضجراً

هذه هي النافذة

بأضواء ميتة

وأزهار واجمة

وهواء نافد

هل ثمة نافذة؟

أم هذا سراب، كابوس، يُشبهها

إذ ما من شيء

يؤكّد هذه النافذة.

كلمات راهنة

النـهر

مغرورق العينين

يقول لـي:

لو كنتُ ذا يدين

أُسديهما تحيةً لقامة الحسين

أضعْهما وسادة لمهجة الحسين

ـ وبعد أن فارقني الحسين ـ

وددتُ لو سحبتُ صخر الأرضِ

لـي دثارْ

نزلتُ للقرارْ

الشمس

ومنذُ أن شهدتُ وقعةَ الحسين :

عجبتُ للنهرين، ،

أن لا يفورا كالدمِ

أو لا يكونا غُصّةً في العينْ

لو

لو أنّ هذا الكون

هنيهةً أصغى

لنور ثأرٍ الله

من ظلمةٍ تطغى

توأم الرجاء

يشهقُ مني القلبُ يا حسين

، يطوفُ في فضاك

مستتشرفاً مهابةَ الفداءْ

مُحيياً دماك،

لمّا تزلْ تستصرخ الأعماق

تهيب بالإنسان

أن لا يكون يأسه عماءْ،

بل أن يكون توأم الرجاء

الفرات

وقد أرى الفرات والفضاءْ

جنازةً يحملها البُكاء

صورةُ الأرض
1997

وكان الصيف على وشك الإنصرام حينما أدركتُ ان هذا الكتاب كان رهيباً. بيد أن ذلك لم يفدني شيئاً في أن أعترف بأنني كنتُ بدوري، رهيباً، أنا الذي كنتُ أبصره بعينيّ وأتحسسه بأصابعي وأظافري العشر.. أحسستُ أنه كان يثير الكوابيس، وأنه شيءٌ بذيء يشتم الواقع ويفسده. فكّرت في النار، بيد أني خشيتُ أن يكون احتراق كتاب لا نهائي احتراقاً لا نهائياً أيضاً، يخنق بدخانه الكوكب الأرضي قاطبة. قاطبة.

بورخس ـ قصة "كتاب الرمل "
ترجمة: إبراهيم الخطيب

إلى..
براء،
رؤى، هال

قصائدَ أعماق، أيضاً

ما ضرورة الوزن في هذه القصيدة؟

جسدي أغنية يتكلم بها النهار الحزين
جسدي حطام نوم
ترفوه الأحلام الراسبة في ليالي الفتيات الوحيدات.
جسدي قطيعُ آلام
يهيم حول نبعها السحري،
حالماً بالكأس التي تعصف بها عيون الخليقة.
جسدي أنّةٌ مديدة لكمان على شرفة عاطلة
وجوم الستائر في النظرة الفارغة للشبابيك.
الكلمات التي تعوز أُغنية الألم
حين لا تقول:
ـ ألمي حارسي
أدعو النهار باسمه
أدعو الأعشاب والموجةَ
وما يترسب من عطرها في الحلم ـ

ما أثقلَ تركة الكلمات
ما أمضّ حرفة الحروف،
كأنها الأصابع تنبش جذورَ الظلام
وتهيئ كرسيّ الألم
ما أثقلَ هذا الصرير لدوران الكواكب!
يطمس مشهد الأغنية
فلا تتبدّى سوى الذكريات
عن النسور التي تتهاوى ظلالها في عتمة
المرايا
والرماد الذي سيعقب الفصل الدامي
على خشبة الكوكب!

جسدي ألمي، إيقاعه
جسدي إيقاعه، الألم.
ما ضرورةُ الوزن في هذه القصيدة؟
ما ضررُه؟
جسدي، النشيد الذي سأقوى فيه على
القول:
الغبارُ في قلبي
ومطرها لم يأت بعد...

أيام النمِر

بعينين يشربهما فراغُ القفص
يسرح النمر بأحلامه
ناسجاً من أيامه المعذبة
جسراً
إلى غاباته الخبيئة
يحكّ ذاكرته،
متشمماً البراري،
ناشباً ذكرياته عن الأزمنة القتيلة
في مرآة علتها الغضون
النِّمِرُ
بأحلامه المثخنة
يذرع القفص
فيما قمرٌ يابس
يقيس فضاءه

أيامُ النمِر
أقفاص محكمة
لا يتخللها سوى الإنتظار

كلّ يوم
يشطب شمساً على الحائط
بينا عيناه تساكنان،
بلهبهما،
أنهاراً
مروجاً
مقاطعاتٍ وكواكبَ
أضحت على مبعدة إغماضة من سهره.

كريستيان ستاد
تشرين الأول 1996

مسافات في أقدام

أأُورِثت أقدامنا
كل هذه المسافات،
يا أبي؟
ولمَ لمْ تبن في الخرائط
التي كنا نتصفحها، غروباً،
بأعين كليلة
في الضوء الشحيح
كم من المنعطفات والأشجار؟
كم من المياه
والقتلة الكامنين في أردية الليل
لم تُثرها خرائطنا
كم من المسافات المتوارية
في ثنايا الأيام
لم تحزرها تقاويمنا
كم من النساء
عبرنَ في أحلامنا، يا أبي؟

الأحلام، النساء
الأشجار، الطرق، المنعطفات، المياه
وما توارى في أردية الليل
يداً، بيد
تآزروا ضدّنا
ملقينَ بالرياح
طعماً لأقدامنا وقلوبنا المشرئبة
لترقى في غيبوبة حنينها
إلى شمس تُجرجر في الشباك
كقتيل في الفجر

بالدم تُوزن المسافات
بعري قلوبنا
يُنشر على الأسنّة
وبالدمعة تروي جذر الحكاية

حيث، صمتاً،
نستعيدها
مُصغين إلى ظلالنا
على الأرض
أو الحائط
تستعيد، بدورها،
ظلالها

مهشّمةً مرآة الحكاية،
خائطةً
باب الصمت

1996/10/31

ليل الألم ونـهاره

زورق يترقرق في السراب
كلمة تبحث عن الشجرة
فلا تجد سوى ظلها
أصابع تدمى في الكشف عن الذهب
وليس سوى الدم تحت الأظافر
هناك،
بصمته يكتفي
ذهبُ الأعماق
شقيق الشمس
صنيعة القمر
.. وكم هو مؤرّق
باردٌ
ومعزول
ذهبُ الأعماق
واجمة تفكّر به اليد
بلا عشبٍ يسندها في جنونها
بلا وسادة تضع عليها حلمها
تتشرّد في قفر أرقها

مغسولة كالذئب بالشحوب
ذهب الأعالي
غلّة الربيع،
درس الصيف
تُلقّن به أحلامي
وتهتف راياتي
ترفعه سماءَ ألمٍ
فوق صحراء نسيان أصفر

وعلى ضوء دمعي
ينحني الحلم
مستطلعاً ذهب اليد
التي تحيك اسطورتها
في غياب الخوارق..
العجائب لم تسترح
العجائب بك تتدفق
أنت أولاها وأُخراها
أقفالها ومفاتيحها معك..
اشفقي على زمنك هذا، من المحْل
استمرّي كعجيبة
اسقي العالم معناه
تلبّثي هنيهة
مسّي بحفيفك، هذا الوجوم الطويل

لأعرفَ أن ثمةَ ربيعاً وازهاراً
تنطق بهما الأرض

وفي ضوء دمعي
أتبين اليد التي تنسج الأهبة
التي يتساوى فيها ليل ألمي ونهاره
أتبيّن المنديل، يلمّ الدمع الغامض
في نهارات تجرجرها أجراس المعسكرات
وأتبين اليد التي تنتشل الراية
من انكسارها
والوقت من ساعات الدمع
تمضين بالشموع التي تصغركِ نوراً
والغيوم التي تقلّكِ ندىً
والأزهار التي سهّرتِ النسيم
كأنّ هذا الصراخ
لم يسترعِ الزوارق بأعناقها المشرئبة
كأنه لم يقُد الصحراء إلى الدمعة
التي تسبق الأنهار
ولم يُحصِ النبال التي تفوق الطرائد

والغابةُ تحجب الغابة
تثلم الأفق

الغابة تصنع الغابة
فيما أصابعك في نول المدارات
تجترح أزمنة خالصة من الألم،
من اليأس
أزمنة مجزوزة الحلم
لا تعني أحداً سواي

ربيعك الضاري يتقدّم قلعتك
أيتها المحاربة على الجهات الغامضة
وتاجكِ يُضيء في عتمة الدم، يتسلّق الأفق

سيكون لكِ أن تستريحي
عندما تبرد الكلمة
يا حارسة سراج الألم
يا روح زيته
.. لسوف أستبقيكِ في الظلام الكثيف
لأطوار العطش والصحارى
مثل منابع سرية
تستمدّ منها الكلمات نسيمها ومعناها
أستبقي يدكِ في الأطوار التي يترسّب فيها
الألم مضنىً
في الخرائط المشتقة من المتاهات

بحنينها وحمّاها
ترتعش الوردة،
وردتك
إشارة الغسق ونقيضه
ساحرة نفسها
تمام المعجزة
.. ليس بوسع حواسي أن تلمّ بسحرك
ليس بوسعي إلّا أن أقيس وهجك
بيأسي
حيث من شرفات الأرق
يعرج حُلمي إلى كوكب يديك

عليّ أن أصدّقَ خرافتك ضحىً وأمحوها ليلاً
أكذّبها وأستميحها،
مثل كلمة مطارَدة بأرق المعنى،
ممسوسة
كلمة تطاردُ ذاتها
كلمة تُمحى
وتُكتب

كريستيان ستاد
1996/4/22

أرض من نسج القراصنة

في الأرض المصنوعة من نظرة نسر
إلى الطريدة
ثمة الكلمات دائماً تتردّد
الكلمات ذاتها التي تدور
بين طائرين غريبين على شجرة وحيدة
بين الضحية وهلعها
بين النبع والحجارة
بين الظلّ والنار

الأرض المروَّعة
بقية نظرة القتيل
همسة الشجرة المسفوحة
على عتبة الفأس المغموسة بالشرار،
الشرار الذي يكفي لإضاءة سواد
الجذور في كتاب الظلام
حين يُضيء بظلامه
مصائر الشجر
والفأس

والنهر المليء بنجوم ما قبل الفجر
حيث الليل أشدّ لمعاناً
والأسرار أكثر صمتاً

في أماكن تنأى عن الكلمات
لترقد في الشراسة والدم
في الوعيد والدمع
أنظرُ، ثمّةَ، إلى الشعوب
كيف تُسقى شقاءها
كيف تحتطب في غابات خرابها..

في الأرض الممهورة بدمعة
ليس سوى قراصنة فرحين
يقودهم نهر وهمي
إلى كنز موؤد!

أرض تتكوّم في خرائط من نسج قراصنة مهرة
أرضٌ تتدلع
عبر الأنهار التي تندثر
عبر الحجارة التي تسقط
والأقدام التي تزلّ عن الحواف
عبر الخرائط المقتبَسَة من الدم

أرضٌ هي دمعة معلّقة
بين العين والمشهد.

عند باب الألم

يُقلّب القاموس
بحثاً عن جذر كلمة ألم،
متسائلاً:
هل هي الملأ
أم الأمل مسدوداً!
يحزم يأسه
فيما تنفرط الكلمات
تنفرط الأحلام
وببسالةٍ سوداء
مأخوذة عن الكولبيس
يخرج على الملأ، واليه
بآلامه
تقوده النوافذ المحطمة
في التماعة الظلال
والآفاق الراسبة
ثمّة يتراءى
بابٌ
تقتعد عتبته

كلمة
كلمة بلا مفاتيح
أو جهات
كلمة وحيدة
هي
الألم

بيروت 1993
كريستيان ستاد 1996

متاهة النسور

يحييكِ الظلام الساهر
يحييك الفضاء الجريح في صور الطيور القتيلة
تحييك الظلال التي ترقد عميقا في أصلاب المرايا
أقودكِ من عريك عبر الممرات التي تدرب المتاهة
أقودكِ عبر مناظر مغطاة بالريش الأعمى وحطام المظلات،
ثمة المرايا تسهر معلنةً، تعرق الوردة في اتقاد الغابات،

في المسافة المهموسة لاحتراس النمور
أستقبل مهبّك وأصابعك التي تحزم كآبتي في معسكرات الألم
استقبل هذا الرنين اللامع
لضحكات عابرات يندهن بذهبهنَ الأعالي السحيقة،

ويشرن إلى الأزهار، تتكسر في ذهول
خطواتي
وإلى قلبي يطوّح به تحت مظلات المذهب
والعطور التي تنيم الغابات،

العابرات بريشهن ونومهن المستعار من
الغيم يرسمن يدي صخرة لتتقاذفها دموع
هذا الكوكب.
لم أضحك بما يكفي لأستمع، وحيداً، إلى
العويل الساهر لأعين الأرض،
لم أقطف النجمة التي يذرع عطرها الفراغ
البعيد
لم أقل الأنهار والصخور الغفل
في الخارطة الوحشية التي أشتهي
ليُتلى علي سهادك الفاتك

أذكّركِ الأ شجارَ المحروقة بعطرها
والفراشات المحنّط طيرانها
أذكّرك الينابيعَ الخرساء والضفاف
الرهينة!

لم تدونك الرياح
لم تصفك العيون

ولم تسبقك الأساطير

ذهبكِ سهرُ شمس..
ذهبك حارس الظلال والمسافات التي
تقولها عينا صقر حزين
فمك الربى، يستعيد فيها الفجرُ سراحه
ويداك روايتي الأثيرة عن الذهب المغلول
في الرياح المغلقة،

في خزائني تنام الخرائط ممهورة بالأبد
وفي قبضتي كل المفاتيح..
الأقفال ترن مليئة بالنسيان
والأزمنة التي تتداولها يدُ الخريف.

مقنّعاً بأحجيتي
أعبر الريح السافرة مثل مدية
متلفعاً بأنيني مثل كمانات وحيدة،
ترتعش تحت الشرفات

لم يتعب العزف بعد
لم تتعب الدموع وهي تروي أسطورتك
في سهر جنونها

لم تتعب الأصابع وهي تتسقط الضوء الذي
يثيره نهوضك،
وكأنك تُنهضين الفجر معك

هناك في الصدى السحيق لأحلامك،
ترقد أيامي منسية كطية في فراشك
أو كاللامبالاة
حيث من الضجر، ذاته،
أصنع تشابه الأزمنة
وتثاؤبها!!

كريستيان ستاد 1994

آلام تامة

لي من الألم وضوحه
أتقدّم بدمٍ جريح
أتقدّم كعواصف تخطر في بال نَسر
يرمق الأفق بجناحين مسهّدين
فيما الحرائق تندلق في السهوب

ألقي التحية.. وأستمع في الظلام
إلى الدموع تهمي
إلى الأصوات تتكسر

يدي التي ترتفع في عطب الهواء
تتحين شمسكِ دانيةً في اغتلام المرايا
عندها بوسعي أن أُسدد برقي
وأشطب ما تبقى من أضغاث سود

الطريق تُنبت الطريق إليك،
بسطوع عشب أسود، أقطع المرتفع
أستدلّ على هوائك، بالأجنحة التي تضرب

قريباً من عينـي
أستدلّ فيما ريشكِ ينـهمر ذهبياً،
أسمرَ على مرأىً من نَمِر قسوتـي.

لـي ثباتُ ريشةٍ في جناح صقر
ووميض فكرة ذهبية في رأس نيزك
ـ ذلك ما تبينته حين عرضت لي رياحُ
مراياك ـ
لـي من الآلام جنونـها
ـ هذا ما خبرته حكمتي في ضمير المرايا ـ
أستبدّ بالأرياف
غاسلاً البرية بالصهيل
علّ الأشجار تشبّ عن الفأس

بوضوح ظلام، أوقد لكِ دمعي
لتتبيني أياماً، لا أبوابَ لها، حين
لا تطرق يداكِ
لتتبيني نوافذ شاغرةً كالأرق
وليس من عشبة تحيّي فراسخ
هذا الصمت
أو تلمّ برادة النجوم!

الأنـهارُ تنطفىء

وأصابعي تخفق في استذكار نبعٍ يصلني
بيديك
وثمة، دائماً، ما لا يُجيب على الظمأ
.... أستدينُ الأزهار
لأقول هذا الربيع بيت لشرودي
لأقول أفكاري خطاي

....
بشكيمة زهرة أتقدم اللهب
بغضب شراع أفتك بالهواء،
أُفقر الماء من الماء
وألقي بحبل آلامي على غاربها

فيّ ما يتسع لخطاك الخضر
لوردتك أن تعبق في جسدي
وأن تعصف بي
إدني أهدابك
لأقلدَ نومك دمعتي
لأبذر في حقول نعاسك غيومي
أستمدكِ في رياح عكس يدي
ألوّح لنظراتك بجناح القلب
وفي اللحظة التي تشمك يدي
أكسر هواءً يحول بين أعشابنا
أكسر أفقاً يتغضن في المرآة

افصحي عن نواياي فيكِ..
ثمة نظرتي ممدودة
وشغفي يتربص كغضب
جناحين
يشقّان الأرض
الفضاء خدش
احتفظي بطلاء أظافرك
بريشة لترميم غيوم ممحوة
... وجهكِ يخلد إلى مديحي
وآلامي
إلى.. آلامها

بيروت 31 آب 1993

حنانك مسروق أيها الجسد
و.. تتمّات

حنانك، أيها الجسدُ، يتبدّد
حنانك مسروق
حنانك يصيخ
وليس ثمّة إلا ضجيج الكراهية
إلا ضجيج المختلطين بأحقادهم..
حنانك يشتعل
وليس ثمة ما يكفي من الغابات،
من الفصول
ليس ثمة ما يكفي من الظلام
حنانك، أيها الجسد، يفيض
وما يهبّ من الصحارى لا يفي أنهاره..
حنانك مذروف أبعد من الرمال
وأعلى من الأفق
حنانك طائر
أُوصدت عليه الجهات.
حنانك، عريقٌ كالرخام
وحقيقي مثله

حنانك سادن الجمال
ولذا فهو يحوز كلّ مواصفات الضحية

حنانك الوصايا التي لم تُكتب
الوصايا التي يجب أن تُلقى من
جبل الجسد
إلى وادي الأحلام

حنانك جناحٌ يدرّب الهواء
حنانك جسرٌ يقطع مياه الكراهية
حنانك جسرٌ بلا منتحرين
حنانك الهجرة ومواسمها،
الألوان العصية على الألوان
الفضاء الذي يسكبه الفضاء
والمياه التي تغلب العالم.

التتمّات

•

الأغصان المتقصفة والطريق الذابل
الورقة الساقطة،
العتبة المنحلة في الزمن
والرواق الذي تحرسه الأساطير
والنسيم الشاحب
خشب المكتبة الذي يستنجد الأشجار
والكتب التي تسرد تاريخ التراب
.. كلّ ذلك، علامة البيت
الذي تهزهز مفاتيحه رياحُ النسيان

•

الغابة السحيقة
سارقة الأصوات،
مربّية الظلام
آسرة الوحوش والخرافة
آسرة الفتيات
اللائي يدربن غرائزهن، بشراسة
خليقة بأظافرهنّ
بصيحات غاباتهن الدفينة

.....

الغابة السحيقة فينا
الغابة السحيقة نحن

•

المساء حديقة شجر أسود
المساء ظل أهدابك،
ارتعاشة ماء الكحل،
شهقة الستارة
وردة نعاسك السمراء
المساءُ جرّة حزنينا
المساء مقترح شعرك
على كوكبنا!

•

يرنو إليكِ الأعمى..
وحدك الخليقة بمثل هذه الكلمات
بهذه النظرة!

•

حياتي صفنة ملك مهزوم
والوعود التي قطعتها الصحارى
على نفسها
حياتي فضاء خادع

تروده عصافير مموّهة.

•

قال لي: ألم تنظر إلى أهدابي ،
إنها بيضاء
أجبته: أجل، لهول ما رأت عيناك!

•

كلّ أمّ تهتف.. يا ابني
أنا، أكادُ أُجيب.

•

لست وحدي،
فمعي ما يكفي من الوحشة،
لأن أدعَ الريح تصفر في أضجّ السجون ،
معي من الوحشة ما يفرّق بين اليد
والأصابع،
ما يفرّق بين الأُغنية والشفاه

•

الدرجات التي تصلني بكِ
الدرجاتُ التي طالما ارتقيتها،
في بياض الضحى،
وقد بتّ أحفظ عروق رخامها
أضحت غائمةً خلف العشب الأسود
فيما أقدام النسيان، أسمعها
تتناهبها جيئةً وذهاباً.

دمشق - بيروت
1992 - 1993

الجسد العابر تحت قوس المياه

فرسٌ صهيلكِ، يعكّر مياه السماء
لي النجوم الآهلة بأمكنتك
لي الحجارة تنحتّ
لي البرق كأصابع مجنونة تتوعّد غاباتي
لي المياهُ تُعكَّر والرياح تُرجّ
أدلق الليل لأنتشلك من نهارك،
لأُسمّي سريركِ والأجنحة التي تحمل صمتك،
حيث الكتابة خطأ نستدرك به خطأ الكلام.

الصمتُ مرآة صحيحة يعكّرها شبحُ الكلام
أحفّكِ بالمرايا ليتحطّم الظل
أحفك بالمياه كي لا أطمع بالوصول اليك
أحفك بالنار لأيأسَ من الكلمات
.. لي كل ما هر محتدم ومشرف على كهولة المياه
لي من الأيام عروقها الشائخة
ولي مني يأسٌ جدير بصمتي..

لي الفصول تهرم فيما تتذكّر أسماءها
.. أسمّيكِ نهراً نحيلاً بمياهه السمر يلثم نافذتي
أسميك الورقة الأخيرة في الشجرة الناجية
وأسميك قاب قوسين أو قلبي

لنا الغابة عذراء والطيور الغفل
أسمّي الغابة لأدلّ على براءة
الوحش من دم الشجرة
هكذا تتعثر أصابعي في استدراج ظلالك
تتعثر في تذكر المياه التي أيقظتهاي يداكِ
هبيني سددتك إلى نجمة فاغرة
هبيني أقفلت عليك الكلام
هبيني نسيت أصابعي على الطاولة
وقمت لأفتح لك الباب

هل تؤاتيك كلماتك على اسعاف
ورقتي
... الكلام نفاية
أُحصّنك بالمرايا، وأطلق صمتي
أضرّج جسداً بالسكوت
ثمّة ما يتخلخل
احرسي العصف

احرسي المياه طائشة في الهزيع
الأخير من الرعب
الأشجار تُخَضُّ، والجسد العابر تحت
قوس المياه
يسمّي الحياة

صمتك جسد يعبر، فيسقط عنك الكلام
صمتك المظلة تستدرج الليل
صمتك الدم يترقرق.

أعبّىء وقتي بالشجر اليابس
وبحكايات الرعب
أتمهّل في الاستماع إلى دم يروي
واقعة القتل، بلا قفازات
دم يسقي التفاصيل،
مشدّداً على نواح مكتوم،
على النسوة محزومات خلف الباب
والشبابيك مناسبة للدموع.

أقولني في الظلام المستغيث من الظلام
في أُفق يطهو النار
وفي الساعة التي تنضج فيها الآلام،
الساعة التي يستوي فيها الزلزال

وتنتفض عروق الأرض
تنبجسين كأصابع طفلة،
لاهية بمصائر شمسي
تكوّرين أيامي قمراً يطوَّح به
في برودة الفراغ.

كل نأمة منك بئر أردمها بالذكرى
كلّ نظرة قطيع غزلان تشرّدها صحرائي
كل جهشة شجرة أوقد لها الينابيع
.. أيامي تتشرد حولك، تتقاطع فيك
الجهات تؤدّي اليك،
الفصول،
المدن التي لم ترني تقود اليك
وكذلك الأزمنة التي لم أعشها،

الأزمنة التي تسمّي تفاصيلك الكثيرة
مثلاً: البرق الذي تقوله النافذة عند اتكاءتك
الهمس الذي يترسب عن صمتك
والربيع الذي يقع من يديك كلّما هممنا
بتذكّر أرض تصلح لأفراسنا.

....
أزمنتي في خزائنك،
فصولي، أنهاري

أعضائي حبيسة جسدك
حدائقي رهن سياجك
وبساتيني تتشرّد

دمشق 9-9-1992

سهرة رياضيات

ـ إلى إنصاف ـ

لم أكن في الحديقة، ساعةَ
استعادَ الجناح هواءَه
لم أكن شقيق الشجرة ولا ماء الساقية،
ساعة ارتفاع يدك بالمناديل،
وحين أوت إلينا العصافير، دمعاً،
لم أكن فيّ،
وما عدتِ أنت
كنتُ غصناً يسأل عن الرمل،
كنتُ السنوات التي تكسرت
والينابيع التي غاضت،
كنتُ العيون التي تسأل النوم،
كأس نعاس، وكنت اليد التي بدأت تمحي
لكثرما لوّحت.
لم أكن إلا ظل الأصابع
التي تنسج الشراع،
لم تكوني إلا الزورق الذي حملتُه
طوال الصحراء،

لم نكن إلا أرَقَين عبرتهما ساعة حلم،
لهذا صحارانا موصلة بقوة
موصولة بقرابة الرمل والسراب

أستميحك من أول شجرة، أو نجمة أنحنت
على مسائنا،
من أول ماء نام عند يدينا،
من أول أرق أثاره في فضائك ضبابي

رمالي طويلة وقواربي نائية
أعبرُ الملح الذي أنضجه النسيان
لأتذكّر نهارك،
نهارك المأخوذ عن الشراع
لأتذكّر يديك المسالمتين
والضاريتين كالحنان
لأتذكّر الينابيع متوحشةً
.. رمالي طويلة وأمواجكِ مُرجأة
وفي الظلال المغطّاة بالخريف
تُعدّ الكمائن
تُعدّ الرياح الجريحة وصيحة العشب
.. رمالي طويلة كسهر يديك
في عراء الرياضيات
كانحناءتك المغموسة بالسواد

على حزنك البِكر
رمالنا طويلة وما نتذكره من المياه
تهدّم،
ما نتذكره من الحلم جرفته مياه الليل

لم أكن إلا وحدي
حين قدّم لي الليل، كأس الرماد
وحين تساءلتُ عن النبع
رجمني الضباب
....
لن أكون إلا وحدي
حين أتذكر ظلك الشاق ويديك النائيتين
أو أتذكّر نسيانك
وأنت تحضّرين الدمع لسهرة، بلا مياه
تحمل نبأ الأزهار
بلا جناح يحرس ظله حفيف خطاباتنا.

دمشق
1992/3/10

تمرين ألم

المرأة التي ستحبها دائماً
المرأة التي تتكرر في مشهد ناقص ـ
سيلتئم ـ
المرأة التي دائماً على أُهبة أن تقع ..
المرأة.. أو المرآة،
الأبناء الذين يهرمون، لحظة حنانهم
والأمكنة الشاغرة التي نعبّئها بتوقنا
إليها
الذكريات التي آن لها أن تتصدع،
أُرمّمها بيأسي
والكلمات تتأرجح، مجذوذة، في الهواء
ـ الكلمات التي بليت لكثرما استعملناها
للتعبير عن أسفنا ـ
دائماً، سنقول عند كلّ ألم .. إنه الأخير،
سنبدأ ثانيةً
سنختار هواءً سعيداً
نختار الطيور التي تناسب المدى الأقرب
إلى القلب

نختار نجمة زرقاء تتعهد ممرنا

.....

أخفافنا على حوافّ الطريق
والأعشاب التي وصفتْ لأشلائنا
أُضرمتْ بها السكاكين
الضوء المتبقي من قمر البارحة
طمستهُ الريح
.. نشيح بدمعنا عن البيوت
التي تصف نوافذُها الحنانَ المهدور
والرفاق الذين غطّتهم الرياح

....

دائماً، الدم، لتوه ينبجس
دائماً، الحركة ذاتها،
تردّ الغطاء على الوجه السافر في الريح
دائماً الألم
ودائماً الكلمات التي تلاحق الأسف.

دمشق
1992/10/25

الفتاة الغابرة كتمثال

ذاتَ ساقيةٍ شاحبة
أفقتُ على حياتي
حياتي التي تعهدتْها الصحراء،
رملُها بعضُ آلامي
ونجومُها صدى صرخاتي

أدعو الفتاةَ الغابرة كتمثالِ باسمِها
أدعو ماضي الريح
ومستقبلَ الموجة
أدعو المرايا التي ستحطمّها العاصفة
لأراني..
أفتشُ عنّي فيّ
ـ لمَ أحلامي تطشُّ في الريح كورقٍ
محروق؟
أتفهّمني،
كدم يسقط على مهل
كذكرياتٍ ترسب

أيّامي خدشٌ في مرآة
غيمة في ضباب
أيامي وعولٌ تسقطُ في غيابة الوادي
وبرغم الرماد الذي يحجب النافذة
أشعلُ لقلبي
أوقدُ المياه
لأتبيّنَ النجمةَ التي في طريقها إلى الموج
لأتبيّنَ جسدي تعبرهُ الآلام
لأتبيَّنني نهراً
أو رايةً تحيّي ذبولَ الكواكبَ
تُحيّي الرياحَ وهي تكشطُ الأفقَ
عن سهرةِ الشمس

دمشق 1992

يوم

المرآة قبل كل وجه
لأتفقدني..
القلب في موضعه
والدمع يذكّر المرآة
ببريد الأيام العاطلة
والقوارب المغلولة

الفطور على مائدة
تُخفق عليها بيضة الحلم
، ثمّ نهار بشعر مُسدل
وعينين تنهلان من الأرق
الظهيرة تنحلّ في الشاي
ومن ثمّ مساء بإهاب خائف

أُشفق على الطاولة من ثرثرة الأيدي
فأستقلّ صمتي
حيث غابة العصف

دمشق
29/30 - 1 - -1992

الحلم

لمَ منامي مليء بدم القطط الجريحة
ورمل النجوم العُمي
ولمَ عليّ أن أواجه الصباح
بيد مضرّجة بدم الحلم

دمشق1991/12/31

نمضي

بلا شموع تحفّ قاماتنا،
بلا هواء نستنشفّ به الأشجار
نمضي في الظلام
وبلا أسماء،
وربما بلا أيام
بلا تذكّر كأننا النسيان
كأننا النجمة تسقط في الفراغ
كأننا عُري الريح
بلا نجوم نرفع إليها دمعنا
نمضي في ظلام ثقيل كالدم

نمضي
كصمت بين حوارين
كنأمة في عشب قصي

دمشق
كانون الأول 1991

مياه مظلمة

أُحيّي ظلالك التي تروّج لها النجوم
أُحيّي النسمة التي تتخلّل الأشجار
أُحيّي، أعدائي، ربما
إذ في الصباح المتواطىء مع الدمع
في الصباح المشتق من الدمع
يسدّدني القلب إلى وردة خاسرة
وطريق تحفّه مياه مظلمة

دمشق
كانون الأول 1991

أسمعُ الفأس

أسمع الفأس تتردّد في الأشجار
أسمع الماضي يُنحتّ في الصخر
أسمع الأيام تتساقط كالدمع

أحتزّ كلماتي
فأسمع دمكِ يسيل
كموسيقى جريحة، بلا نهاية

بريد

منذ جروح سحيقة
والليل يسلمنا للصباح
والصباح إلى بريد
يوصله شراعٌ ممحو

دمشق
كانون الأول 1991

وقائع الجدي

ما مضى من رمادي
وما سيأتي من الدمع
ما نفد من اللهب
وما سيجتمع من الظلام
ما جفّ من الينابيع
وما سيزداد من الصحراء
ما مرض من السواقي
ما انتحب من الأصابع
ما يبس من الضحكات
ما طويَ من الأمسيات
ما هُدمَ من المياه

تلك هي أيامي

•

أنصت لقلبي
فأسمع نبض الأرض،
أسمع رائحة الأزهار
تتلو صفحات دمي
على مرأى العشب
أسمع الوعود
تتكسر
كصخور تنحطّ
أسمع يدي تحيّي قفازها

وأسمع الأظافر
مأخوذة بالطلاء

دمشق
1992/2/3

•

الأزهار تتساقط على جبيني
في هواء ليس لي
المدينة مركبة مغلولة يحتملها اللصوص
والنساء دائماً في الشرفات
.. أين مظلّتي؟
لأتقي دمعاً تسقطه أشجار
منحنية على المشهد
لأتقيني
وأعبر يدي الطافية
في مياه الحيرة

دمشق
1992

•

يحببها
بربرية، تتارية
راسخة في المهبّ
يحبها
طالعة من الأساطير
راعية النجوم، مربّية الهواء،
جامعة الماء والنار
ربيبة العاصفة،
مأمل يأسه
....

حذارِ!
انه يحاذي الكلام المسدود

الديوانية 1990

•

ليس الآن،
بل منذ حروف سحيقة
كان عليه أن يكتب:
شيراز، تبريز،
سمرقند
كابل، حيدر أباد
مرو، بلخ...
وراء النهر
أمام القلب

الديوانية
1990

•

في دُرج الطفولة
كان يحتفظ بحكاية عن خفاش
بمخالب طويلة،
كان يسمع برعب
انه يصعب انتزاعه
إذا أنشب مخالبه
إلا إذا عرض على مرآة ذهب
... وبمرور الآلآم
تحرّفت لديه الحكاية
إلى سؤال
عن جدوى مرآة الذهب
مع وجع الروح!

الديوانية
1991

•

نصف قمر على المدينة
يكفي، ليتبينَ
الستائر التي غضّنها النسيان
ليتبيّنَ
الزوجات على أسرّتهنّ
يعصف بسُررهنّ النعاس

نصف قمر
يكفي ليتبيّنَ
الكتاب الذي تفرقه
زهرة سامة
ليتبيّنَ
واجهات الزجاج
والصهيل المهشّم
لحصان خزف
أدلى به نحّات منتحر

الديوانية
1991

•

للآن، يتساءل
عن مصدر شجاعة
ذلك النجّار
وهو يصنع المهود والتوابيت
ويصفهن سوية!

الموصل
1989

•

بالخطأ، دخل مرةً
"غرفة المحامين"
هكذا كان يشير لوح الخشب
المثبّت عند الباب

لم يستطع أن يتبين كلماتهم
التي كانوا يتبادلونها
كانوا عشرة
يضعون النظارات السود
على أعينهم
وأمامهم عشرُ حقائب سود
فجأةً
أحسّ أنه
بين مجموعة من الخارجين على القانون.

الديوانية 1991

•

كان تصفيق الجمهور يتناهى إليه
حينما فكّر بأخذ إغفاءة، حتى يحين دوره..
تراءى له أنه يضع رأسه على وسادة
مغموسة بالدم،
اعتدل على السرير
تناول شيئاً من الماء
حاول أن ينام ثانية
إلا انه نهض أشدّ فزعاً
أحسّ أن حلمه لم يكن سوى
جرة دم تُسكب على وسادته
أراد أن يُنادي على أحدهم
وبدل الكلمات
كان الدم يطفر من فمه
.. عندها تيقّن، انها المرة الأولى
التي "يؤدّي" بها بهذا العمق
غير أنّ لا أحد كان يشهد ذلك.

الديوانية
1991

•

يدرج منذ مئات الأغاني
على أحزن ايقاع
ويحتفظ بذكرى قاسية
عن الأرض.

الديوانية
1991

•

يداكِ
شراعي،
شِرعتي
ولأجل شمسك النائمة
سكبتُ الأصيل في مزهرية
أضعتُ خاتمين
لأحتفظ بالثالث،
عبرتُ سبع نساء أشحن بقلوبهنّ
في صيف مشهدك.

الأبجدية استدللتُ عليها
بشفتيك
وكلّما علت قامتك
تأكّدتُ أن النجوم عالية.

الديوانية 1991

الأرضُ المرّة
1998

فنظرَ نظرة في النجوم فقال إني سقيم

"قرآن كريم"

إلى أبي
وقطعاً.. إلى أمي

لم يعد أمامنا غير كلّ شيء

أُنسي الحاج

فصوص الرماد

قبل أن ينهال الرماد، رأيت بعينيّ هاتين،
الطيور تخلع أجنحتها وتختبىء في
المجاري..
بعينيّ هاتين رأيتها، عندما تهدأ حركة
السيارات، تتجوّل بأذناب ملساء كأذناب
الجرذان، حتى أنّ المرأة التي بجانبي
استعطفتني، أن انعطفَ، لئلّا يعاودها
المشهد في الليل.
أحياناً، وفي هواء ما، لا أُميّز بين
فصوص الرماد وأجنحة الفراشات.. (ألأنّ
الكل يتقمص حركة الجناح في الريح) أو
لأن ـ وهذا هو الأهمّ ـ ثمة ما يخنق العين
ويئد الوردة، فتنسفح الأشياء سوداءَ في
مهبّ النفاد، ولا أدري لمَ عند هذه الجملة
لا يتراءى لي سوى النفط، أسودَ؟

ألأنه ثقيلاً كان كالحبر وقاسياً كالمودّة؟

أو لأنّ اللهب من الضعف بحيث لا يكفي لإنضاج الحلم؟
هل ثمة فرق بين النفط والرماد
ـ الفرق لا يتعدى مسألة الوقت، هكذا:
حاضر
مستقبل
وهذه الروح مدجّجة بعناصر احتراقها.
الروح أُنثى
والإناث للنار، يلجأنَ عند الإنتحار
وهذه الأرضُ أُنثى همّ بها النهر وهمّت..
لولا هذا الرخام الذي يمجّد الموتى ويطحن الماء، يجعل البرية نهباً للبرية وما من عشبة تسرّ القلب وما من سحنة مشمسة تدلّني على النبع. النبع بعيد ويدي لا ترى، وأنتِ هناك تنفدين بين الصغار والحليب والمجفّف، تعدّين النبلَ لساعدي الذي علّمك التحية، دون أن ترتجف أصابعك، لكأنك تحترفين الرمل لمواراتي بين مناظر خرس، كي لا تجهش باسمي
فهل أكمن بين عشبة وعشبة لأقنعكِ بالأشجار أو أكمن بين نبع ونبع لأقنعك بالمياه.. لكني أشفق على قبضتك وهي

ترتفع بالرمل، فأرفع مظلتي نخب هذا المطر الذي لا ترين.

لأن ما تحفظينه من الينابيع لم يعد يكفي لغسل أواني مطبخك، لذلك يجفّ النفط أشجار حديقتك ويوهم الطيور، فأراني كلّ صباح منشغلاً بنفض الريش المحترق عن الأوراق والستائر وأتدبر الغيمة لأفضح الكمائن الصدئة ولأغري الحشائش بقطف الربيع.
الفصول تنسى طبائعها،
الفصول تستشرس،
الفصول تتجول بإهاب خشن، فتنزوي الأشجار والكائنات الدقيقة فيتساءل العشب عن الذي يضيئه البرق وحيداً في الدرب كأنه القناع..
والقناع وجه لوجه آخر يُطاح به في انهزام الشبح الذي يتهجّاه البرق أو يفتته.
مُضاءً بالبرق ومستضيئاً به،
مسرجاً خطواته التي تتسقط الآبارَ وتغفل الشبابيك، إذ كثيراً ما كان يردّد:
ان الشبابيك منشدهة بالصحراء التي تقفو الصحراء، مستبعداً أُسطورة الذهب الذي

يختلط بالرمل، داعكاً التبغ النيء، والذي يشبه أحياناً نثار الذهب، لأسمعه يقول: زهرتي ذوت، ربما ليشغلني عن أن أقول: حنيني يفتتني، أو لأشير إلى مرآة توقظ صحراء قرب وسادتي، فأنتبه من فوري إلى أن الحلم سيُفرد منكشفاً، مختضاً والجهات أمامه.. صرّة ملقاة
والجهات تنطوي على "الهاء" أو تنبثق من "ها" والتي هي "آه" مقلوبة عندما يتملّاها فمٌ حزين.

ليس لي أن أذرف، في الغسق، دمعة مليئة كـ "هاء"، وليس لي أن أستذكر التفاحة التي قذفتُ بها ذات مساء إلى النهر.. النهر الملقى كحبل.. يلتفّ على عنق ذكرياتي.

حياة سامة

I

الصحارى تتبرع بالعطش لي، وهذه
المسافات لأجل ان تُغدق عليّ النجوم،
مطفأةً، ولأجل أن تتملاني الرمالُ طويلاً
كي تحتفظ بشحوبي المائل كنافورة ظلال،
ولأجل أن أستعيد أصابعي وألتقطها من
الندم إصبعاً، إصبعاً.
هاتان الشفتان لي، غير أن الكلمات تشمت
يانعةً وأنا أغمسُ في المياه الكئيبة ذكرياتي
ورفات وردةٍ لم تُبقِ لأصابعي سوى غسق
باطل ومساء أكثر مما ينبغي.
والمساءُ أولى رسائل الحنين
وذؤابة شرارة تمسّ جبين غابتي الحزينة،
فأُريق طيوري في الجهات ـ لأرى الريش
موقوفاً في خزائني كالسواحل والفتيات
يحبكن من الرمل صور عشاقهن وقرب
وسائدهن تتناثر الزهور متقصفةً والرسائل
المليئة بالأخطاء.

والبنت لما تزل وحيدة على السطح تعلق أحلامها بحبل مشدود إلى الأفق.
حبلُ أساي طويل وأطول منه نشيجي، أسمعه كقطار يقصّ وردتي الأخيرة في أفق يختضّ منعزلاً كالجزر.
أرى المساء عبداً وسيداً، أراه في كسل الأجنحة، في التحايا الناقصة والصباح طريدتي..
الشمس طعم غفل يقطر منها النهار الأبيض... أبيض كي نرى بوضوح الموظّفين والنساء بكلمل زينتهن، سوى أنّ الجياد تحلم بالغيمات والعشب والضباب الذي يتلقّف المبادرة من النهر.

لكلماتي مياهٌ تجفّفها الظهيرة، فكيف أقنع النهر بصحة دموعي؟
وكيف أستدلّ على القوارب بنجوم تتدثر بالصوف والسماء قطن ـ ربما لأنها تشيب أو لكثر ما صعد إليها من الدمع ـ،
والأشرعة تضنّ عليّ بالحفيف، محاولةً إقصاء بياض وردةٍ تكاد تطفر من نبع يحوك الزوارق والخلاسيات من وراء قلبي.

ليس لكلماتي أن تصف ماجرى، ليس لها أن تقول، ان القوارب مدفونة خلف السراب الأخير في الصحراء، وأنّ حطام المجاذيف يروي دم الموجة كاملاً من أول شراع حتى آخر ساحل يستقبل الرسائل الزجاجية وأسمال الغرقى.

كلماتي قصيرة وجنوني طويل. كلماتي عالية وفضائي يتدحرج بين أقدام السابلة، أنهبه بالتبغ وبمقاعد المقاهي والسيارات. والأخيرة، دخانها يواري فضائي، كما يحجب عني الفتيات المبتسمات على الرصيف المقابل.
لم يبقَ ما يُشمّ في هذه الورود، سوى البنزين المحترق ولم يعلق بأصابعي سوى السخام من المصافحات.
هل أُسلم يدي للنهر؟
هل أُسلم بصري لخيوط المياه النازلة منها، لأضحك من عينيّ، متذكّراً الخيّام.. فلينهمر التراب من الميازيب، لتعرى الشجرة ـ لقد عرفت السر ـ ما أن أكسر الغصن، الغصن المجوّف حتى ينزّ

التراب، وما هذا الطائر المتلفّت إلا تراب ملموم.

ناولني هوائي. الزهور على مرمى نفَس وأصابعي عزلاء تلتمّ على الظلام.
أكثر سواداً، أُصعّر قبضتي، قوياً كاليأس سأمضي، لأرى الأفراس تستشيط أعرافها في الشوارع التي هجرتها الرياح، ولأنصت لأجراسي الذابلة يحركها هواء أسود، يذكرني بهواء الصبيّة المفترَس وبالرسائل التي تنهدم كلماتها لتكشف عن دم يتأرجح وشفاه تؤجل الكلام، لأنها دائماً لا تجد الهواء المناسب.
والهواء يلاطف قمصاننا معلّقة في الحبل ويدفع عباءة المرأة لتلتصق بقفاها أو يطيح بالأزهار ونجومها.
الحصى قاسٍ وبرحمة صلدة يتلقى أصابعنا الرانية إلى ما وراء الينابيع والأشجار التي لها خضرة النسوة في منام مشوّش، إذ يحدث أن أستفيق على كفيّ تمتلئان بالدموع والريش المنهزم، فأسوّي من القطن كهيأة الطير ليمتصّ ما تبقى من فضاء ونجمة تعوم كدمعة تشحذ النوافذ،

والستائر لا تهتزّ و لاتنمّ إلاّ عن بريد ينقرض، فلأتشاغل بالأغلفة الزرق عن
ذكرى صبيّة أغفلت اسمها في الخطاب الأخير وعن الانحراف في عيني حارس الممر إلى الكلية، ولأضلّ خطوي تيّاهاً في الوزيرية أو الرشيد..[ما الذي أقوله الآن لمقعد سيارة أقلني ذات ضحى من عام 1965 أو 1966 إلى بغداد، ولم تكن عندي بغداد سوى باصات حمر وسينما صيفي، هوى عامل البناء من إسكلتها].
أطلب الماء في كنيسة السيدة العذراء حتى أضبطني منشغلاً بالدمع أو الشمع الذائب الذي يجلل المغارة ويذكّرني بعطشي/ أطلبُ الماء/ الأبواب موصدة ومتينة، أغبطُ الفضاء الذي ليس هو الزقاق، يضمّ قباب الكنائس وزرقة المآذن؟

أُسائل كنيسة أمّ الأحزان عن الدمع الذي يدّخرنا فيما أسمعُ الصليب يُجرجَر.

II

إلى ف.

تشير إلى قدمي المدللتين، وهي تحاذر أن تطأ الأشواك في طريق عودتنا من بيتها في الضواحي.
فهل يكفي ما وطأتُ من طرق ترابية ومعبّدة وأرصفة وبيوت ومقاهٍ وسيارات وعلب ليل أو نهار وصفوف مدارس... إلخ منذ تلك الذكرى وإلى الآن أن أسترجع جدار الطين والبارية فوق الباحة الترابية المرشوشة وبخار الشاي المتصاعد من إناء الفافون؟
ما الذي يسندني الآن، وأنا أنقل الصمت الذي يجلّد السواقي والتراب الذي يعلق بريش العصافير وشحوبها الذي أحببته وادّخر لها ميتات يندى لها الشجر.
و ثمّة من ينقّب في الرماد عن أصداف النار وخاتم المرأة السعيدة التي يحوك عنها الرواة خرافاتهم المذهّبة وأيديهم في الخفاء تحضّر السهام وتشير إلى غزالة

تنعس قرب برق يدرز السماء بأسماء من سيحلمون بسماء ثامنة لأرض تولَد من شفاه الحكايات وأدراج الدم والسكاكين المخزونة لتقشير التفاح أو أصابع النسوة الساهيات عن سلالم الفضة والفتيات الصغيرات بأغلفتهن انتظرنني على الأسطح لأطيح بورداتهنّ وأفتك بسررهن، فيما أتناول السماء على صحاف من مطر.

III

لا أُبرّر ذكرياتي وحينما أُشير إلى المرأة المتشحة بالسواد إنما أقصد الوردة التي فُتّتْ ولمّ نثارها الحواة، وضمناً ربما أعني السلالم التي استدرجت خطوي لتكشف عن سطح الهاوية التي تحرسها البنت وهي تخبّىء قفازيها وعباءتها وخفّيها، ربما لتذكرني برنين الدم على أظافرها وبالكتاب الممحو الذي يتقصّى مصائر الأشباح، دون الإشارة إلى السلك الذي يقطع الهاوية ويلمّ هديل الحمام..

ذكرياتي تبرّر كلامي عن المرأة التي سقت فؤادي إحدى عشرة آية واستقلّت بمصيرها عن هوائي، لترقبني وحيداً مع الخدم، يحضّرون قهوتي وأصابعهم مخلوطة بالمبيدات ودون أن ترتجف أصابعي، أُثني على نارهم الماكرة والصباح الذي بدأ يوزع عصافيره على الحديقة، فيما خطابها ملقىً على الطاولة منذ خريفين وثلاثة بساتين توشك على الاحتراق...

تبرم ساعي البريد من اختلاط العنوان بالريش الضال يحرضني على تحسس مديتي الذهبية في جيبي لأقتصّ من شمس تضع النهار على نقالة، غير أن يدي ملفوفة بالضماد، فكيف أضمّ شعرك إلى حاشيتي أو أُذكرك بالخطابات التي تكسّرت كلماتها..

ماجدوى الدموع التي تقصّ الصباح على مرآى العبيد؟

وما جدوى أن انتظر ـ تحت شجرة ـ الخطاب الذي سيقول لي أن عينيك أكثر حناناً من الصيف الفائت، حين استمعنا إلى هزيم الشجر ولم يكن معنا إلا النهر المولع

بدفن القوارب وضفائر الفتيات النحيفات/ ما جدوى أن أردّد: أن ليس معي تبغ أو نقود لأعتق خدمي من دموعهم وهم يخلطون المبيدات بدلاً من خلط قهوتي بالصباح.

أَلِفتُ الشمع المتبقي من السهرة الفائتة والزهور المسودّة في القدح وبضع كلمات عن الفصول التي تبادلنا خلالها الصور والزهور، إلّا أني لم أعد أتذكّر الشتاء الذي نهرَنا وسفح زجاجة العطر على رسائلك فاختلطت كلماتك بالربيع وفي الخريف المجاور كان الحواة يشكون من رائحة الشمع المحترق ودفاترهم مليئة بالكلمات الغامضة عن شخص سيقتتل مع الظلال، وفي البرج الذي يشرف على المدينة تنتظره فتاة تربّي العصافير وتنسج ليديه القفازات وبين حين وآخر تحرّك الأراجيح لتعصم الزهور من الهواء والطواحين التي تكوّر الليل على أنهاره. غير أن الدفاتر أغفلت وصفه مُتيحةً للرواة أن يختلقوا نهايات عديدة لحكايته مع الفتاة التي أجّلها أبواها مع أزهارها السامة في

البرج، أو أن يضيفوا إلى فصولها تفاصيل محفوفة بالذهب والأزهار الغريبة، وكثيراً ما ردد الحواة: أنه اعتاد مصائره وهو يسند سلالمه إلى الهواء غير مبالٍ بالعيون التي تتحلق جسارته وهو يفرك النجوم ويقصي الرعاة عن كؤوسهم وهم يخلطون بين نسائهم والأعشاب السامّة والملح حين يحترق في المستنقعات كما انه كان ميّالاً ـ هكذا قيل ـ إلى الطعن بالشمس وتشبيهها بالمُح، غير أنّ هذا لا يعني انحيازه إلى القمر الذي يتسلى بمراقبة الكرة وهي تنتفخ بالدم والمبيدات. ولكي يبدد الطريق على الرواة كان يلقي بالسلالم على العيون الفاغرة وهو في منتصف اللعبة أو بدايتها أو يعمد إلى حرق الأعشاب السامة ليشوّش المشاهد التي تُعدّ في الخفاء والسهام التي تُدهن بالسموم على مقربة من الريش الفضي وقد اًستخدم كرسائل بين الفتاة المؤجلة في البرج ومَن يتناقل الرواة كلماته عن القهوة المخلوطة بالصباح، إلا أن المنصتين توهموا أن السيدة التي يتسلق ذراعها الذهب وتحترس من الأفاعي هي ذاتها التي اختلطت

كلماتها بالربيع ولم يفطنوا إلى الشرائط البيض التي تحرزها في خزائنها مع الذهب والسكاكين الملتمعة لكشط ذكرياتها.

وهو لم يقل للبحر سوى كلمة وغصن عن الربيع الذي تصدّع والقارب الذي لصّه حارس المتحف وهو يعدّ كأسه بين التماثيل. غير أن ما بقي من الشراع يكفي لأن يرى الهواء يحرّك الزهور في البرج وأن يسمع الرسائل التي تُتلى بين صياح ديك وآخر دون أن يغفل الريش، يستتشيط في ظلال المرايا.

قال ـ ونادراً ما يُسمّي ـ اعتدتُ النسوة يخفينَ أيديهن في القفازات وهن ينتقين الزهور، فيما البستانيّ منشغل بإرشاد الجياد إلى الغابة، وغير بعيد يمكث الخدم ليدلوا بأعشاب كاذبة عن ربيع مشبوه، والنسوة يتنصتن، متشاغلات بالأزهار وأيديهن تسهو/ (...) لأستذكرني قبل ستة أنهر وساقيتين، اصطحبت السيدة الحزينة إلى النبع وجردتها من صمتها وقفازيها ـ استمعت إلى رنين الدم في أظافرها وسترت سرّتها بالورود، لأكذّب الحواة

وهم يواعدون الخدم في الضفة اليسرى من الحكاية ليلفقوا الدم والقفازات المفقودة وتواطؤ البستاني مع النسوة المتشحات بالسواد، إذ ثمة من يتذكر الريش الفضيّ الذي تبادلته مع التي كتبت لي انّ عينيها أكثر سواداً من الصيف الفائت وأنّ الأزهار في النافذة وصيتها المفضّلة في الأمسيات التي يغيب فيها الهواء، لأعرف ما أُرجىء من المناظر والأصص التي تهوي من الشرفات بين دمعة وأُخرى ولم يكن بوسع التي تسقي الزهور إلا أن تجلو الزجاج وتشير إلى أفق يُعزق، مستذكرةً الوحيد الذي يجلس في الحديقة مراقباً الطيور وما جاء في دفاتر الرواة عن المؤجل، المقصي عن السطور، شقيق مَن بحنان يفصد عروق الأرض. غير أن ما يعذبها تشوش التفاصيل فيما يتعلق بمَن دُفن مع كمانه تحت شجرة الموسيقى، شمال قيامة الينابيع، واتضح ان القوس التي أطبقت على النغمة الأخيرة كانت تحاول أن تقوّم نوم من أسند رأسه إلى كمانه فوق كرسي في الحديقة المسقوفة،

حتى سلّمه اصفرار البريد إلى زرقة العناية.
هل أبرّر ذكرياتي وحفيف يديك في القلعة التي تكاد تحجبها الأشجار، يذكرني بما تبقى من الصوف لصيف القفازين، برغم النسيم الذي تذيعه الأراجيح ممزوجاً برائحة الأعشاب وما تبقّى من كلمات في الرسائل التي أجهز عليها الحواة بالرماد. فهل أستطيع القول، إن الخريف والبستان الموشك على الإحتراق والعصفور الذي جرفه الرماد، هو ما كان يضمره الحبر الذي اختلسناه من جرة النهار المتبقي في الحديقة، تحت عيون النسوة المتشحات بالسواد والخدم الذين يعالجون المبيدات ويتذمرون من تكرر الصباح في الأشجار لأنهم بذلك قد يخسرون ما أنفقوه من أعشاب لمداواة الكناري الحزين وقد أوصى به البستاني في الأصائل التي تصطحب شباكها إلى هواء الحديقة للتنبيه إلى أن الرجل الذي لم يكن يفعل شيئاً سوى مراقبة الطيور، هو آخر ما تبقى عقب انتهاء لعبة المبيدات في المكان الذي كان مهيئاً لاستقبال القهوة الساخنة

والطرود الملوّنة/ إلا أنّ تسلق الأعشاب المائدةَ واشتباه الخدم بصورتها، خفّفا من لهفة الآنسة المتزايدة لمشاركته القهوة مكتفية بمراقبته من بين شجيرات الورد، ولولا الإشارة العابرة من البستاني بضرورة فتح الخطابات المغفلة العناوين لما عرف أن ثمة رغبة جارحة عند إحداهنّ لمشاركته القهوة والتفرج على الأصيل يعبر الحديقة بشباكه ويحثه على مشاورة البستانيّ بشأن صورة النوارس الوحيدة في الرمال المتحركة وقد عذبته كثيراً، غير أنّ الصراخ المفاجىء للقديسة الصغيرة ومؤمنها المريض بالقلب أقنعه أن لا جدوى من إفشاء النوارس الوحيدة وفضول الآنسة في الاطلاع على أوراقه، إذ كان البستاني يعثر عليها مصادفة بين الشجيرات أو في الشباك التي تتخلّل هواءه.

كثيراً ما تساءل عن سرّ مواراته وراء ضمير الغائب، في حين أنّ الآنسة المصابة به تشهد على حضوره وهي تصرخ: يا لكمية الأزهار! كذلك الطرود الملونة والخطابات المغفلة العناوين، وقد

كانت من الكثرة حدّ انه ارتاب في أن ثمة طريقة جديدة لاستدراج لسانه، فأغفلَ كأسه مشيراً على البستانيّ أن يلتقطَ القصاصةَ التي يواعد فيها الآنسة، وفي قصاصة أُخرى، كتب، ساحة سباق الخيل وتساءل البستاني عن "قرب" ونسي عادته في لمّ الأوراق المبعثرة بين الشجيرات أو في الشباك التي يخلّفها الأصيل وعقب ذلك فكّر: لم يحلم منذ نهارات، وكأنّ الأفراس لم تنهض مليئة في الضباب الأخضر للفجر، ولم تسمعه راعية الأوزّ أغنيتها الزرقاء عن القلعة المطلة على البحر وهي تنشّ الذهب، دون أن تفصح عن محاكاة السنبلة، لذلك أسِفَ على الكلام الذي لم يقله.. غير أن كلّ شيء كان منطبعاً في المرآة ولم يقدر الضباب على محو ابتسامتها أو تأجيل السنبلة ريثما يجد الجرأة لتعليل الذهب.

لم أستطعني ـ هكذا همّ أن يقول ـ بعدما تيقّنَ من بطء المشهد وتكراره، وكان يلزمه بعض الضباب لمواراة ما لا يُحب/ لكن المرآة كانت تغيم، أحياناً، وتموّه القمح فيفكّر بالسنابل التي انفرطت والصيف

الذي اختلس الغيمة من كأسه بين ربيعين مدسوسين وخريف يوشك على الإنبعاث، مما يُبرّر ارتيابه بالصورة التي أُزيحت ذات ظهيرة بالغَ في سكّها الرواة/ كما ان التي استمهلته لا سترجاع الرسائل، وهي تعلّق حقيبة يدها في الشجرة، سهت عن الريشة المستخدمة لطمس العنوان، فلم يبق من الكلام ما يُغطي السنبلة أو الدخان الذي عجز عن محو ابتسامتها، وهذا ما استدعى أن يظل الشخص مولعاً بمراقبة الطيور في الحديقة بالرغم من تهامس الخدم وتلف الخطابات واحتشاد المكان بالصراخ والآنسة التي لم يتبيّن منها سوى كلمتي:
يا لكمية الأزهار!

الحياة ـ طبعة ثانية

أنا أجبتُ على الذكريات
أنسي الحاج

عليّ أن أصرخ في المرة القادمة: لماذا يصرّ على ملء قدحي بالمياه التي تسبح فيها الأفعى، وسأتناسى رغبتي في تضميد ـ بعشب ما ـ الخطاب الذي انتظرته منذ سبع نساء يكرهن بعضهنّ ويحببن سفك قلبي، فكثيراً ما رأيت الكلمات التي سأردّ عليها مموهة تزخرف القدح المهيّأ لي، وتشير إلى تواريخ تنفتّ كالرمل، وضفائر طويلة لنسوة يلففن أيديهن بحرير أسود ويشرن إلى طائر يشرب البرق، واقفاً على حافة أرض تحضنها العاصفة.
أُغطّي هزائمي ـ التي هي قامتي ـ بالكلمات، لأقدر على الإشادة بيديك، وهما تقيلان قلبي من سبورة الجدار الطويل، لأرى الرمل يتمرّن على تهجّي نهار يلوكه الرواة وأرى ألدّائي بلا صور أو أسماء،

إلا أني أعرفهم برغم أقنعتهم والندوب التي يسدلون عليها ابتساماتهم، وحتى الذين سأتعرف عليهم، عرفتهم. هكذا صِيغَ قلبي وبلا دهشة أتعرّف على أحلامي المفرغة من الهواء والمليئة بالسهام المغموسة بالخريف، تتقدم ببسالة إلى ربيع البالونات وتكشط الحليب عن أطفال استفاقوا على خيوط تخنق أصابعهم ومطر يفترس طياراتهم ولم يكن البرق يتلقى رسائلهم الصغيرة أو دموعهم المبتسرة. أرى إلى أطفالي الخضر يسقون الأفقَ، يمشطون جذور النهار ويهدون الفَراش إلى حقل شرار، حيث الرياح تُقرىء الشجر سلام البروق ورسائلي تحيتي لي، إذ أجتازني، مغمض الكلمات، والذين يعصبون قلوبهم برياح سود، مغمض الكلمات، أجلد شفاههم ببرق يدرز الأرض بأسمائي ومشتقات حنيني، فثمّ أبداً، عيناها تلمّان بقلبي وتضفران الحبل لتعقل ما يجنح من كلمات يتمتم بها حلم يتلبس عاداتي، فأقول له: اخرجِ أبيضَ من غير دمع، لأتبيّنَ حياتي جاريةً كالنوم، ولأحتفل بالتفاصيل، دون ندم ولأعلّق الشراع حتى

رياح ستولد لا هواء يؤاتي والفضاء يصفن، مشفقاً على الأرض التي أُثخنتْ، وثمّ من يدأب على كشف سوأتها، ولا شجر لا خصف، والأصابع تدمى في عدّ ورق أحمر وتنسى عادتها في كتابة نهر موجز عن القوارب التي استخفّ بها النسيم. إذاً كيف لي أن أصفّ الحروف على موجة أو أُنبّه المصحح ليضاهي السطور بخواصر الأنهار. سُدىً سيتهمني بالماء إذ لا يرى الأشرعة مكتظة بالهواء، أو في الأقل ما يدلّ على مجذاف أو وشم بحّار، وكيف يستدلّ على ربيع في الوقت الذي يسعى فيه الأعمى متفصّداً، يقلّب الهواء ليتأكّد من صحته. لم أرني إلا أنّ الزهور الزرقاء انحسرت عن هواء يُرمّم خلف تلة تنازعها القراصنة ولم يُبقوا للرواة ما يدلّ على البارود سوى صدأ تتناقل الصخور صداه ونبتة تعذّب العين. أزهاري تنام في أدراجها والمرأة التي علقت عليها سلالات قلبي أراها تسحل طفلين، في الوقت الذي كان عليّ أن أُصغي إلى غلامة تشكو آلام الحب وهي مستلقية على الأريكة، متسائلةً عن علاج

لذلك، فيما الحليب يفور. هممتُ ان أصف، غير انّ الشبح فضح عبورَه الزجاج، فأرجأتني حتى زهرة ستهمس بها جارية تُحسن النعاس أخضرَ وشمساً على أُهبة الكمثرى.
لم أقلني تماماً، تعوزني أصابعي. صحيح حبري أزرق، لكنه لن يغفر لي استمناء بحر أو سماء أُلوّح لها بريش خافت.
.. ضدّ مَن هذه الطائرات الورق؟ صرختُ ليلاً بطفولتي الملبّدة بالريش والعصي وأسندتني إلى شجر ينافق الخريف ويطري المداخن على مرأى من قفص يُبيّت الهواء.
انتظر قليلاً! تهمس بعينيّ جارتي، وأنا أتوسّل اليها باصرار:
- دعيني..! تقبض على يدي، وأسمع دمها.. وكان نهار..

تسلّقتُ شجرة طفولتي لأخر غصن، دسستُ أصابعي في أعشاشها وما كانت تقع إلا على الطباشير، ثمّة ابتدأت السبورة الطويلة، وشهقة الأصابع بعيداً عن ورد جاراتي. ما الذي أقوله لطفولتي؟ كيف أمدّ

لها يداً ملطخة بالكهولة، هل سأنزل معها الحديقة وطائرات الورق عالقة بالأسلاك والقطط التي درجت على ملاحقتي تمرض؟ وقريبتي التي تسهر عليّ بكوب الحليب صرتُ أشكّ في إبطائها وهي تحضره بيدين مرتعشتين... وصرتُ أنام بلا قبلة أُمي..
أنام، ألكي أوقظ بعد رمَدَين وربيع يخرف على خشب المهد، لأجده سلماً يصعد بي نحو تخثر القلب والأعشاب التي ظننتها نجت من حديقة الرماد، ألأجل أن أعاين البئر عمياء ومراكبي مغلولة وكلّما همّت بارتكاب موجة عاجلتها ضفائر النار. لم أعر الأمر خوفاً ما، إلا أن تردّد حارس النباتات والذي يفوح برائحة تشبه رائحة البنزين، على غرفة البذور وطريقة تدخينه وهويخطّط نباتات غريبة على الأوراق النقدية، جعلني أتوقع ربيعاً مفرغاً من الأزهار، ولم تُجدِ قفازاته في اخفاء رائحة الحبر الذي كان يستخرجه من فراشة تشبه فجراً يؤجله ليل ريثما يفرغ من الديكة.

أسندتها إلى الحائط ـ كانت تتحينني ـ أرادت أن تقول شيئاً، أطفأت كلماتها بشفاهي، فيما أصابعي لاهثة تصرّ على الكشف عنه، وهي تخشى أن أودي بوردتها.... وكانت تشوغ بين يديّ.

هل من ترجمة لسماء تخامرني كالزيت وعنقاء تتوعدها شمس آيلة للينابيع. هل أصف المشهد، بعيداً عما أوحى به الرماد، فما رأيت من الأشرعة لايكفي لتبرير إشادتي بمنظر عاشقين على ساحل. لم أعد قادراً عليّ وكلماتي تشتمني في الوقت الذي تحاول فيه تمجيد براعتي في تهييج وردة تُقال في حديقة عناقيد غبار يتسلقها البكاء، والنبع عين عزلاء تروي دمعتها لعابري الحكايات، يُصرّون ذكرياتهم وما زاد من الدمع في المناديل التي لم يتح لهم أن يلوّحوا بها لأمهات ذرفنهم دون مساحيق أو آلام.
شوداري موهاندر أحبّكِ وأنت تُشبهين دموعاً وحيدة في الفجر، أُحبّك وأنت تشبهين جنوني وتقترحين حصاناً لقطف طرق تصلني بغسقك الرخيم وتجتهدين في

تذكر مزايا الهواء في قندهار وأنا مقتنع بذلك إلا أني أتشّهى تيرانا ربما لأنها تشبهني، كيف لي أن أقنعك؟ ولكن فكري قليلاً. شوداري، فجرك ينأى وهواء المدن التي تشبه ما يجنّ من جنوننا خليق بقلبي.

أستقلّ أيامي، أهيّيء المدية والكبريت والرسائل التي احتفظتُ بها زهاء عشرة غصون من الكآبة وقلبٍ قيد التخطيط.

أصابعي تحنّ إلى القدح والكلمات مائلة في الرسائل ولها طبائع القش ولعروق الأيام أدّخر مديتي. أُراقب وزني وبرجي وزحلُ يضيء ميزان ذهب صفر الكفتين إلاّ من التبغ كأنه يزن جدي الجهات الحزين، حيث بلا شجر أو صهيل يشدّ على تقويم أيامه الرمد، فينبري المنجّم: لم أجد في الرمل غير رمل يصرّ كبوابةٍ يشير أنينها إلى سلالة سلاسل وتاء تأنيث أو عربة نار بعيني لص يتطلع للذهب ويشتم الحقول، وقلبي يُغتاب في الخراب الطلق، فتعلق الغلامة على المشهد الماثل للقدْح بتسوية شعرها وطلب عصير بارد وهي ترمقني

من خلف نظارتها وقد وقعتْ في قلبي حتى خفّيها. لا وقت لدي لوصف شفتيك وهما تشددان على ملء الفراغ بين قبلة واخرى، ولا سعاة لأنفضح دمعاً يهيب بأصابعك أن تغضّ عن تقليب قلبي.

إلزمي كلماتك فوجهكِ واضح بما لا يدع للمرآة أن تجنح وفمي في الضباب يستدرج غابة ويحصي القبل في الهواء إلى وردتك. ثكلى يدي بلا منظرك، تيّاهة وبك مسٌّ من المشمش والربيع ينجدل شرائط لأسابيع جسدك. أستطيعك دون أن أسميك ودون أن أُعيّن المناخ الذي يجيز لي أن أسمي هواءك، فحين أُجهد أنفاسي في التقاط شوداري موهاندر قد أعني سبع نساء انسللن ذات دخان من ربيعي وأثرن رائحة الخريف في إهاب الأيّام، ليرقبنني منشدهاً بي ومتعثراً بأكوامٍ أيامي لأنشقّ عني وأذرف أناي متقصفةً تسفح المرايا لينكمش حاضر هوائي فألوذ بما سلف من هواء، فأراني الصغير في عتبة البيت، لم أئن للمدرسة بقدر ما شبثُ في التتلمذ في الصغيرات والإصرار على فراشاتهنّ،

تغتابهن مرآة مولعة بكل ما يمتُ للرمل لتقفز سنواتي الست راعشةً تحت صفرة المصباح فيما صوت المعلم يتكسر على اللوح الأسود، ويضبطني، أُفتّش عن كتاب الشجر، والبرق يصرخ بالمرآة أو ينهار مستعيداً كلماته، ليحصي حياتي.. شجرة، شجرة وغصناً غصناً. إذاً كيف أبرّر له ما ترمّد من شجري وما تعثّر من أغصاني، وكيف أجرؤ على تقديم الرماد، على أنه ما تبقّى من مياهي، والفراشات التي أوصاني بأزهارها وقد استفقتُ وليس ثمة حديقة، بل بقايا نسيم له سحنة أيامي، فبأي جَنان سألقى جنون ريح تخمش ستائري وتنسل عصافير ادخرتهنّ لمساء خلوّ من الحفيف.

لك أيها البرق يا شقيقي الأوحد، أن تبصق في مراياي وأنت تريني وجهي الطفل وقد علته الأيام، وأن ترجم يدي وهي تمعن في دم أزهاري أو تسترسل في إحكام سبع عباءات على قلبي. لذلك كلّما قلّ الهواء، أشهقُ: شوداري موهاندر وأُراجع ما يذكرني بقندهار. كلما دققت في فصولي، أرى ربيعي باسلاً في خيانة أشجاري،

والخطابات بلا حفيف، كأني قد أمليتها على مرسليها.
ليس لي ان أتساءل أو أعجب فالأزهار دُخّنت على مرآى من هوائي والرماد يهمّ بتحية الينابيع، إذاً لا موضع لاعتراض الأزهار على نسيم يحرّف أريجها وينعت البساتين بدخان يتيح لما أسميته بحارس النباتات أن يتسلل بوقوده وسجائره وقفازاته إلى غرفة البذور، متذمراً من ضيق النهار عليه واحتياجه إلى السموم مما يشجعه على استخدام السماد لإنهاض الربيع، غير ملتفت إلى الفراشات يحمن قرب تماثيل تتصدع بين برق وآخر، يسقي أصصاً تنشق عن وردة تشير إلى عطب الجذور وتدفع الفصول إلى حجر الريح.

أدفعُني قليلاً عن تكسّر التماثيل وبقايا برق في الحديقة لأراني في الطريق إليّ أتفصّد حنيناً وفي كفي المغمضة يترقرق رمل الطفولة منجنّاً بشجر يلتمّ أعشاشاً تنطوي على الحليب مندلعاً في مخدع الغيمة وسهر الريش.

أتوزعُني، متعظاً بترسب القلب في آنيتك، فيما عيناك تسديان سوادهما إلى مائي، كأنّ ثمة من يذكّر بعمى البئر ورمد الينابيع وبالشخص الذي يقف عند المياه المشققة ويلوح بمنديل تحرّف لكثرما كاتبَ من الدمع، غير أن هذا وما تبعه من قصب وأسلاك أُخرى لم يثنني عن شتل المياه وسقي صوتك يتبدّى على وسادتي ويداي تشربان جسدك، فلا وقت لأصابعي لتفكر بصحارى جحيمي على صراط عسلك.
ذريني على شجرك أغزل لك المطر، عُرياً، ألهب جذورَكِ بالبرق، فليكن ضوءُكِ ساعدي في الجريمة وقفازي لتوعّد الذهب، وليتح لي أن أسأل: لمَ عليّ أن أضرب قلبي مثلاً كي تصدقي دمي.
سأرفع هوائي إلى الناي ـ هوائي الذي في قبضتك ـ وأنشق صراخي، فدائماً ثمة، ما يخدش القلب.

أتخذُني نديمي وأسدل كأسي، ليكون لي أن أهمس بخلاف اسمك ويدي تعنيك لأنّ بالجوار من ينبهني إلى سهام تشير إلى السادسة عصراً أو نحو ذلك من تعلق

الشمس بماء مجنون، حيث طفولتي في العشب تنأى والشجر الذي أُحرز يواري الفخاخ لأصابعي ويستلّ الصباح من جراري، إذ أنشغل بتبريرك ينبري الغسق لرعاة يموتون دهشة كلما سهرتُ على ما نعس من نبات عقب قراصنة يشقّون الخريف بغبارهم وشاراتهم التي تؤكّد الجراد على أسلاك لا تثير الشكوك، كما لو أنّ الأمر لم يكن سوى انزلاق قارب مغسول بالذهب بفتيات جميلات إلى الضفة الثانية، غير أن الشجر لم يكن كذلك، وهذا ما عناه الشتاء الخالي من الأمطار حين أرجأ قفازيه إلى صهيل آخر.

حزني فرِحٌ بي يا وحيدة زلزالك ومياهك وحَم لي، فأطشّ جسدي بك. تقولين، أمهلني، فأصبر عليك بقدر ما أستغرقه لفكّ سيور حذائي واستعجال حفاء قدميك ليحفّا دمي والنشيد الذي أُعليه لعينيك، شامّاً صوتك في الطرف الآخر من الغياب يذكرني بفواتك، فأستدرك بك عليك وأعالج اسمك في القواميس لأستدلّ على مدن يربّيها الهواء ويمشطها المطر، أو

أحياناً أترك يدي تستعيد المساء المحمي
بضوء أرأف من قسوتك وأسرع من دمي
يبلّغ أظافرك شتائي الأعزل من الحكايات
والمواقد.
أوقفيتني في الخريف المأجور لتعهّد
أزهاري، وهبّي عليّ بالجهات، فالرياح
تعين ألدّائي على نعت شراعي بالحجر
وتمويه الضفاف بشجر سريع الإصغاء
إلى ريح شائكة ونسوة صببن أجسادهنّ في
العباءات، فأسترق الحفيف لأسهّر
أعضاءهن بفجر مؤبّد.
أطأ الأرض التي حُذِّرتُ لأجسّ الهواء،
يؤبّد ابتسامتك، ينسِل أيامي ويرمي
بشمسي، فيما أصابعك توشوش الزهور
وتتوعّد ربيعي، فأرفع النشيج ناياً يقصّ
الفضاء دمعاً أو هاوية تكدّس أشرعتي
ورياحي، لتنهرَ كفي وهي تحاول أن تذكّر
بنسيمي المزرقّ في الأقفاص ـ التي سهواً
ـ أشارت لها يداك وقد انقدحت أثناء عينيك
تُنهِضان الفجر على الرابية، خارج هواء
من اتشحن بسوادهن وأغفلنَ ذكر حارس
النباتات والزورق المموه بالذهب،
مشدّدات على الدمع الذي يضفر الفجر،

بقصد الإشارة إلى غابة عجلى تفتح الفصول فجأة وتسلخ المياه.

أكسوكِ ببروقي لتشترطي سماءكِ عليّ وقبولي أرض أجرّكِ حافية الأعضاء اليها، لأسبغ عليك عصفي، وناري ألوّح بها لألدّاء، أستدرج يباسهم، فيما عيدي أخضر الوعد، يخطب الصحراء ويسمّي الأنجم شجراً والليل عباءة المطر.
أحييكِ بما أستطيع من الفصول وأذكّرك انهاراً شاغرة لاقتراحات عينيك وأزهاري في رتابة الهواء، علّني أجرؤ على تنشق فجرك لأهدم الليل على سفحك وأُريكِ الدمَ أسودَ، يهمي، وأعشابي في أيدي عرّافات يشردنَ في تفحص أيامي...
والأيام تذهب وتأتي، تدقّ عليّ بالسؤال:
ـ ماالذي قبضت؟
مشفقاً، أنظر لي ـ وبلا تشفٍ ـ أحيل السؤال إلى.. باسم المرعبي.

الخروج إلى الحياة المضمّدة

مسائي ذاته، بخفيه العسيرين وبالظلال ذاتها يجرّب أن ينأى عن الشجر الذي يُغيّب الفخاخ.
مسائي الماكر، الألق، بعيني ديك يغمد جذوره في سرّة الفجر، ويدي تغشى الغلالة بتؤدة تُشبه الحنان كأنها تلمّ شعركِ في ساعة متأخرة من اللهفة، ولكن ثمة ـ في لحظة ما ـ من يزيح الستارة عن حريق يعصف بالأزهار، ونظارتي لا تسعفني في تلوين المشهد أو إقفاله. إرجاء القلب هنا ـ ضرورة جارفة ـ علّ شعرك وإن كان أفحم مما ينبغي يشرق ذات عراء مغطّياً ما نقص من الربيع. يدي لا تخجل من قول ضعفها في خصف نسيم لخريف شامل، والمنفضة تفرغ وتمتلىء.

عيناي غريبتان علي والمرآةُ لم تقلني مثل كلّ يوم/ قلبي سؤال أُأرجحه منذ ثلاثين

عاماً ومحتفظاً بدهشتي لك، ودائماً كأنك المرة الأولى، أو كأنك النهاية ومداي ضبابٌ يحار بك وفصولي أُضحية تنتظر علوّ خطوتك على العتبة.
بلا دليل أُجيل يديّ وسهواً تذرفان تلويحةً كأنها الأبد أو كأنها القوارب لا تجيء.
بلا دليل أُعلّم أقفاصي تفكيك الهواء وتعبئة الطرائد بالركض.
هواءُكِ يُطبق وفمي في الرابية يتناوش عناقيدكِ ويستعيد الممرّ الذي يحلو لي أن أجدكِ فيه.
الكلمات ذاتها وما أستطيعه ساحلٌ مأخوذ بتكديس الزوارق وعرض سلاحفه اللامعة، لأُبرّر قمراً يخفر نزهتي وخيلاً تهمّ أعرافها بسرد الهواء، خنقاً، من مطلع القفص حتى قفا الهبوب.

العيون تعصف بالمشهد، والمشهد عصفُ أجسادٍ تطيح بالغناء (وفي الكواليس ـ وفيما تأخذين زينة المشهد المقبل ـ) أستوقف يديكِ لأُسمَعكِ صمتي المحطَّم، إلا أن فمكِ يصيخ للستائر المغموسة بالحفيف ويترك جسدي يكوّم الكلام على

الحواف مما يُعرّض تاجك للسقوط والأعين المترامية، الثقيلة الضيقة للإدلاء بعماها في وليمة تدبّج الظلام على شرف أصمّ يكيل المديح لترسانة الأسمدة.
عفوك! الكلمات تأخذني، فما أذهب إليه من المعنى قد لا تذهبين إليه، إذاً لأستعيد غزْلي، ثانيةً، وانتبهي لما يتراكم من الكلمات على الحواف:
فيما تأخذين زينتك استعداداً للمشهد المقبل.. أقتحم عليك ستائرك وأُشهر عليك مرآة تُريكِ عطرك يلفّ أرقي وفيما فمكِ يُصغي لوقائع أحلامي مبسطّةً أو مطوّلةً يدخل عامل الديكور، منبهاً إلى العيون التي ستندلع حول الخشبة، وبهدوء مركّز أُحيّي شكوككِ في ما يخص المشهد القادم وأنا أحاول أن أُخفي شغفي برؤية النمور، محنّطةً وأخاذةً خلف الزجاج النظيف، وتذكري أن ما أقوله ينسجم تماماً مع المنظر الذي تحضرين أظافرك له دون تعليق دم يُذكر على الطلاء، ولأجل أن أمحو الإصغاء القادم لرواية أُخرى ينطّ بها مهرّج سابق عليّ أن أتدبّر كلماتٍ لوصف ما حدث مجدّداً، انتبهي.. فيما

تصففين شعرك وتضعين اللمسات الأخيرة - دون الرجوع إلى النص - أُزيحت الستارة عنك فجأة وبدوتِ مرتبكة كقطة، أمام مرآتك ومجردة من الكلمات كعُري، ودون أن يُتاح لك أن تلمي بما حدث. كنتُ أمامك أُدخن بهدوء اليائس سيجارتي، مقترحاً عليك القيام بنزهة بعيداً عن المكان الذي يفوح بالمستحضرات، مشدداً على إحضار معطفك، ربما لأني سأعرّض بأرقي في الطريق إلى نعاسك لأبعد عنك ظلال الأعين التي عصفت بالستارة والزجاج الذي يموّه حركة النمور المتكررة في الريح ذاتها مستعيظاً عن المرآة التي خلطت أرقي بعطرك بطلاء الأظافر الذي يحاكي تقصف الدم في زخّات الضوء.

هكذا أُتمّ الحكاية أو أبدأها بقليل من التصرف بالأمطار التي كانت تلفّ المشهد لذلك لم أُذكّرك بمظلتك لأنني أحببت أن أرنو اليك راكضةً في المطر، مهيّجةً رائحة الأرض والأفراس بصهيلها ووقع حوافرها، ربما ستسمين هذا تحريفاً، إلا اني أذكرك بأن الغابة التي أرجأها كاتب

السيناريو، لم أجد ريحاً مؤاتية مثلما الآن كي أُعللها بالمطر، لهذا فإنّ الحفيف الذي أُغفِل لم يكن سوى الحب، الذي تتبادله الأفراس مكسواً بعرق الشجر.. وعليك أن لا تُفاجئي بالخيول حين تنفق قبل وقوع الأمطار والزوارق التي ستخرج على النص وتُبقي الستار مرفوعاً.

أنا خلوٌّ بك رغم عيني المضرجتين بالبشر[1] وأصابعي المخلوطة بالنهار/
أُخيط عليك المساء لأشمّك تحكّين أفكارك فيما سرتك تفوح بفجر معذّب يا ابنة النوم.. والكلمات تبكّر اليك لتضبطك منغمسة بنعاسك أو متأخرة عن معناك، والكلمات حافية تخفّ لغيومك.
ابقي عصية كتوبة لأبقى أشحذك كرجاء لأجل هذا أودّ دائماً ارجاء كلماتي حين تهمّ بوصفك أو الإلمام بتفاصيلك بين المطبخ والسرير، أو تَسقّط آياتك وأنت تبددينها في غسل الصحون.
لكم قلت لك اذهبي في الضباب، فالعيون دون قامتك وكلماتك هي النوافذ التي تصحّح الهواء، ولهذا دعيني أقل: ما أقلّ

عشبي وأكثر ربيعك، لأشير إلى وهني أمام شدة سمائك وإلى الشلل الذي يضرب طيوري عقب كلّ ريح تثلم رسائلك. أقول هذا وأصابعي ترشح ندماً على الأصائل التي انسربت مثل مياه وحيدة في صباح أعزل أو مثل يديك أتركهما وحيدتين في المنزل.

أشقّ يومي متحلياً بكآبتي، مؤجلاً الذكريات، إذ لا ضوء يعينني على مراجعة الحنين، وكلّ ما تسعفني به يداي هو الشتاء والعصا التي تنهال وما عدا ذلك لا شيء يستحق أن يدوّن. ستقولين، الستائر علاها الغبار، وأقول العيون لها رنين لأنها تصدأ حسداً للمراكب الراسبة في الحديقة. تكفيني الأزهار في الآنية ـ إن لم تكن صناعية ـ ويكفيني النسيم الذي يقوله شعرك، لا تواضعاً أقول لك هذا، لكنّ الهواء الذي يغذّي الأشرعة ويرفع الشمس هو ذاته الذي يثلم الرسائل ويهيل العيون على أصابعي حين تصفن بك أو تلمّ ما وقع من قصاصات في الطريق الذي.. اجتزناه لمرة واحدة دون أشجار تُماثل الربيع الذي قصصناه خلسة من رفّ

الغيوم، ولأني لاأستطيع تذكر إلا العصا والشتاء وما بينهما، وفصولاً أُخرى لا تستحقّ التوقف أودّ أن تحفظي لديكِ ما يلي:

.....

1- برجي الجدي وأُفضّل الميزان، ربما لأن لي من الدمع ما يزن علوّ نظرتك.
2- ذات مرة قلت.. "حنيني يفتتني[2] واليوم أقول: حنيني يعضدني
3- الحياة التي لا أقدر عليها فلأواصلها.

بعيداً عن السيناريو الذي تُعاد صياغته دائماً والمشاهد التي استنفدت طلاء الأظافر، أخرج إلى الحياة المضمّدة بآلام صحيحة أخرج من الوقت المختلس للبكاء في الغرف المكتظة بالفراغ، قابلٌ للحنين وفمي قابلة الكلمات الغريبة،.
أخرج على كلمات ترقّع الجواب لأسئلة تلثغ بها طفولة معلقة على مشجب عصي تتملق المبادرة للانقضاض على أصابع لم يبق منها سوى غبار أبيض ترفعه سبورة بعيدة أو عصفور ذبل ريشه على زجاج

يطل على خريف أمرد. والهواء ثانوي، وبالنسبة للعصا فهو ضروري من أجل أن ترتفع لتهوي على اليد التي تتهجّأ الشمس على مرأىً من ظلام يُبيّت الغيوم، وفي ما يُتاح من نهار أستعيد نجوماً شممتُ حفيفك في ضوئها، وأتذكر المياه التي سرقت صوتك إلى الأبد وألقت بي إلى الناي، لأبقى أغزل الرمل عند ماء مهجور في ليالٍ تئد القمر وتوزع دمي على الأشجار وليس ثمة طيور لأتأكد من فضاء خلوٍّ من الرماد في هواء يربّي الحطب والشجار ولا يداعب شعري، غير أن هذا لا يمنع الريح أن تكون طوع قامتي والأشرعة مُدىً أسلخ بها أفق المدن الكئيبة وأقصّ أرضاً لها نوادر جسدك المليء بمحبتي وآياتك..

إحالات:

1ـ أنسي الحاج: العينان ـ مجموعة: الرأس المقطوع.

2ـ باسم المرعبي: قصيدة ـ فصوص الرماد.

الأرض المرّة

1

في تعاضد الصحارى، في انجراح موجة،
في تكسر غيمة، في الدمع المضمر، في
القوارب الغلف:
ثمّة أنا.

2

طرْقٌ على الباب يشبه نباحاً متقطعاً لكلب
مذعور، حيث الليل يشي برائحة غيومٍ
تتكسر في بئر بعيدة، ونافذة عاطلة لا
تخبر إلاّ عن ريح في طريقها للسُعار..
لمَ عليّ أن أكون هناك؟

1

أرى الدم يختلط برماد الكتب والسياط على رقاب آبائي ـ كان الجند يجرّدون المآذنَ من سمائها ـ، صهيلُ الأفراس يدفعني للتدخين ومساءلة الكرخ عن اليد العسراء وقفّازها، اتصالاً ببيت أبي نؤاس:
"بادرْ فإنّ جِنانَ الكرخ مونقةٌ لم تلتقفها يدٌ للحرب عسراءُ".

2

بالعاول يبكّر الرجالُ لدفن يومهم.

3

الأماكن الحافلة بما أحب أو لا أحب:
أُغمض قلبي وأجتازها.

4

الوردةُ رجائي الأخير، أرفعه لرمل يائس.

1

يلحّ عليّ سؤال: أين ندفن الأرض؟

2

الأرضُ تدور، تدور... دخت!

5

أنشب قلبي، حيثما أرض تقلّك.

6

أحب الهواء، الهواء المحظور، الهواء المصنوع لعطرك،
أحبّ الغيوم التي يتداولها الربيع، غير أن الزهور معدنية ولها نكهة السياط.

7

ربما في الهواء المحظور،

الهواء الموقوف على نحت انكساري، أُحيّي شمعتك، واليد التي تُشير في هواء نافد إلى الراية حمراء، تصفع الجهات، تقول: باقية أنا فوق الهواء الذي، ذليلاً، تلمّه العصيّ.

8

أنت العطر الذي يعوز الوردة، والوردة التي تعوز الحديقة.

9

أنت ألٌّ أرضٍ نكرة.

10

كيف يعرّف الأرض بحبر، لمن ينكّرها بقبر؟

11، 12، 13، 14، 15

"وأمر بتنور فسُجّر، ثم أمر بابن المقفع فقطعت أطرافه عضواً، عضواً وهو يلقيها في التنور وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنور. وقيل أنه ألقاه في بئر وردم عليه الحجارة وقيل أدخله حمّاماً وأغلق عليه بابه فاختنق".
لا الماء و لا الهواء يقدران على إغاثة تحيتي لك يا ابن المقفّع.

16

عباس علي، أتتذكر ذلك المساء المشعّث من عام 1982، إذ كنتَ عائداً بقميصك الأسود، مغموراً بغبار المصابيح. اِصغ لي، وأنا أُسمع الأرضَ، صمتي المتسائل، عن: سلام رؤوف، وسام حسون، حيدر منسي القانع، عبد الرحيم كاظم اللبان، إياد الوالي... والدمع يطول.

17

لندرة هذه الزهرة، تُخفي الأرضُ الجسد.

18

لمَ عيناك، دائماً، في أُهبة الوداع؟

19

أحزم قلبي، إذ ليس من شأن عينيك، الإقامة، في مهبّ شمسي.

20

أثقل أرض، تلك التي تخلو منك.

21

صوتي، كم به حنين لتنفّس صوتك.

22

في الإختناق الأخير، نسمع تنفّس الأرض.

احتفال ريش الكآبة

حُزني..
وأعني الوردَ يطفو في الهواءِ المرّ
أسماءَ الحجارةِ، مهملة
أُنثى..
وأعني موجةً، وارت فؤاداً لم يُفسّر حلمه
.....
هذا ابتهاجٌ بالفجيعةِ مبهمٌ
رمِّم فضاءكَ وابتعدْ
زنزانةً،
زنزانةً
واشطفْ هواءكَ من هواءٍ كاسدٍ

حزني يروق لقاتلي
لكأنّما حزني رخامٌ نائمٌ في الشمس، يلمع
ماسةً، ولذا تغذّ طبيعةُ الأُنثى السخامَ
لوردتي وتُهالُ في أُفقي المرايا، مُطفأة

سُرُجٌ معطّلةٌ

حَمام باطلٌ
أفُقٌ يفتّش عن أُفق

من أوّل القتلى تخلّلني هواءٌ مالحٌ
رئتي تنامُ على بلاد لا تُجيد سوى الدخان
وأرصفة
أرستْ سماءً واجفة
من أول السكين تلمعُ خيبتي
فأساً،
تسمّيه الفصولُ نيازكاً
فأساً،
ففأساً
تُكتبُ الكلمات في جلد الغزال تحيةً
أُنثى تمرّ كلمعةٍ
ثمّ انطفاءٌ شاملٌ
فحمٌ يهبّ على جهات الروح
أبخرةٌ تثوبُ لأبخرة
وردٌ يغالط نفسه
ويعدُّ سيناريو الحريق محرّفاً:
ريحٌ، وتندلع الستائر
سلّمٌ يشوي خطىً تأتي وقلباً ذاهلاً
يرقى ليوقظ أنهراً
تروي لها النيران قصة مائها

وأشبّ عن قيدي لأسمعَ صلصلة
هذي دماءُ الشرق تُعلي المقصلة

نفدتْ بحارٌ هُيِّأت للحلم،
زرقتها سرابٌ قاحلٌ
يعدو إليها القلبُ ممدود الدمِ

قلبي تشحّطَ في رمال الأمنية
نفدَ الفضاءُ
فكيف أُطلقُ ما تبقى من جناحٍ سادرٍ في
الصخر
كيف أُعلّمه
لغة اختناقٍ نامية
حزني يروق لجارية،
نفد الفضاء
فلا الطفولةُ في الهواء، كرايةٍ تربو
ولاريشٌ يقول لوردةٍ عطراً
فتمضي الساقية
حزني يروق لجارية
نقشتْ على ساتانها قلبي
يموجُ كأمنية
عوّلتُ يا حلمي عليك

فلا تفاتح بالعويل منامَ أعضائي سدىً
هذي الصخور ستكتبُ الأنهار
في جلد الصخور،
تلوّن الأحجار، قبراً ينتظر
هذا الغناءُ يفوحُ بالجثث الطريّةِ، صاعداً
أُفُقٌ تجثّث فابتعدْ
قدني إلى منآي،
قدّ تصحّري
واقطفْ شحوبي معدِناً
لارنّةٌ للشمس تعبر أفقها
لا وردةٌ مرّت بعطرٍ لافتٍ

مُرُّ الخريفِ يمرّ بي، شهدٌ يُصادَرْ
برعمُ الأنثى يقصّ على مسامةِ صخرتي
نهراً ويزجرني مناخٌ
يكتب الصحراءَ متناً
والبراعمَ حاشية
حزني يهبّ كسارية،
فأصيحُ بي:
كيف اهتديتُ الي،
كيف كفأت وردي في غيابِ شكيمةِ
البُستان
كيف تركتني

موجاً تدشنهُ الصخورُ
وريشةً ينمو الحريقُ لها مدى

وأمرُّ بي:
ولداً يلمّ التوتَ
أغنيةٌ تذمّ المدرسة
وهَجاً يفوحُ،
حديقةً تُخلي الحديقةَ كي تُقامَ غزالةٌ
ويشبّ سكينٌ، بعيداً،
عن مياهي الساهية

الأشقاء في القصيدة

أعبرُ الوردَ فلا أُبصرُ خطوي
فأظنُّ النايَ برداً وشجاراً
وأرى الأشجار صفاً من مداخن
تخنقُ الأفقَ وتغتاب الجناح
أعبرُ الوردَ لكي تعبرني الذكرى، فلا
يغتابني النسيان
أو يشتمني النهرُ الوحيد
قد أرى موجاً أسميه شقيقي
وأُسمّي الدمع أُختي
وانكسار الناي في ريح المسافات أبي

يرتئي القلبُ جناحاً أو فراغاً يرفع الشرفةَ
من موجٍ وريشٍ لهواء يصل الوردةَ بالشمّ
وبالغصن يدي

هل نسيتُ الأمّ ـ أسهو عن صلاةٍ ـ فيقومُ
القلبُ
إيذاناً بقدح الريف:

في ريفٍ تعلّمتُ المدى من رعشة الريشِ
افتضاض القلب في مرأى فتاةٍ، ومياه
الشجن الأسودِ. أسهو، ثمّ أستدركُ:
هل يدري شحوب الأمّ، فجراً لا يذبّ الغيمَ
عن قلبي ولا يهدي الينابيع، ليرتابَ
السراب
وأرى في ضوء أُمي، في ضياء الماء
أعني،
دفترَ الرملِ، تفاصيلَ هواءٍ مسّهُ نايٌ،
ليروي فجرَ خوفٍ وسلالاتٍ من الحزن
يواريها الحنين.

أعبر الورد لأنسى ضفة الشوكِ
لأزدادَ بهاءً في مدى فحمٍ وتدبيرِ غبار.
ربما أنسى أشقائي لأرفو ما تبيض
الذكريات
وأسمّي أُختيَ الصغرى التي من دمعها قامَ
الصباح
وأُسمّي دمعةً، فجراً، وأعني أبيضَ الوردِ
مشعّاً
ثمّ لا أعني سوى هذا الشحوب
وأُسمّي ما يُغطّي قامة الليل من الدمعِ،
نهاراً

وأُسمّي قلبَ أمي وردةً عزلاءَ، والريفَ
أسمّيه وريث المدخنة
وأُسمّي ما يهدّ القلبَ ورداً أو رماداً
وأُسمّي فصلَ أزهاري غيوماً
في تقاويمِ نموّ العاصفة.

ربما تُخطىء أعضائي بما يُتلى من العشبِ
عليها
ربما لم أكتبِ الوردةَ من أولها
ربما تخطىءُ هذي الأرض في معنى
خُطاي
ودمي يُخطىء في قولِ حنيني
فأراني أستعيد القلبَ من أوّلهِ
لأراني أرويَ الجرحَ إلى آخرهِ.

أضعف الأحلام

تنكسرُ الطفولةُ في إناءِ العمر
تنكسرُ الفراشةُ غبّ بارودٍ وقلبٍ
لا يُتاح لغير هذا القلب
أرفقُ دمعتي بطوابع التذكار
أسألُ عن فتاةٍ تُحسنُ الأزهار
....
....
ينكسرُ الهواءُ
فتجبرينَ القلب
ينكسرُ المنامُ
ألمّ ماء الحلم
.. أخجلُ من يديّ ترممانِ الماء
أخجلُ من دمي
يرفو المنامَ بإبرةِ الفاليوم

حلمٌ ملح
كفّ القلبُ عن زرق البحارِ ـ الجرح
كفّ القلبُ..

ترضيهِ القراءةُ في رواءِ النهر

خيطاً فليكنْ في ذيلِ ثوب النهر
هل من نهر؟!
هذا أضعفُ الإيمان

طائرة ورقية لطفولة غائبة

ألقيتُ نافذتي إلى لهبِ الفجيعةِ
وانتظرتُ شرارتين
وكنتُ أرنو للمدى
لأراه نافذتين دُخّنتا وعشباً واجماً
وأراه مقبرتين سُرّحتا بقلبٍ واجفٍ
وأراني في حُلمٍ بطيءٍ مالحٍ:
قلباً على عكّازهِ الدمعيّ
منفطراً كجصّ الشاهدة

قلبي عواءٌ سالَ
وانتفضتْ لزخّاتِ العواء مسامعُ الصخرِ،
الرياحُ الباردة

ألقيتُ ما في القلب
كي أجدَ الطريقَ إلى طريقي
أستدلّ بغيمةٍ
أو دمعةٍ بيضاء،
أسألُ، أستدلُّ بحيرةٍ تهدي يديّ

ضلالةً زرقاء
يدخلها الفؤادُ مهدّماً كالرملِ
يذروه السأَم

راسلتُ أجراسَ الندى
ورسائلي طيّارةٌ ورقيةٌ لطفولةٍ غابت
أجمّعُ ظلّها
لتضيءَ نجماتٍ بذاكرتي
سأرهبُ عدّها،
سُبّابة الثؤلول، أذكرها، تهددني*
وأهوى أن تهددني
لتمسح بالوعيد تغضّني
وتغضّن الشجرات
ترفو ما تفسّخ من صبايَ
على رمالِ العمر
والطين العجوز
وقوس ظلّي
والصدأ.

* إشارة إلى الإعتقاد الشعبي الذي كان يُردّد على مسامعنا في الطفولة، بأنّ من يحاول عدّ النجوم سيُصاب بالثآليل بقدر ما يعد.

سماء بطائر وحيد
1999

قصيدة إلى أوغست سترندبيرغ

على الجدار تُعلّق الأقنعة
والظلالُ تتكاثفُ على الخشبة

وقعُ خطىً بعيدة
وموسيقى ذائبة في الظلام

هذهِ الحياةُ
حزمةُ أقنعة

قناعٌ يُراقص امرأة
قناع يضرب في سهول بعيدة
قناع ينكبّ على طاولتهِ،
يشربُ الحبرَ
يصرُخ.. لم أجد، بعد، الكلمةَ
التي أهزمُ بها وجهَ عدوّي
قناعٌ يعتدلُ، ليقول :
الوجوه مُقفلةٌ على أقنعتِها
الأقنعةُ تصطفّ على الحائط

مثل أسلحة مُستعملة
وفي المرآة صورتُكَ
يُخضبّها هواءُ المصحّات

الهواءُ حقلُ أقنعة
أو حفلُ أقنعة

قناعاً لقناع
هذا هو العالم،
وأنت أعزل
إلاّ من دمعتين
تجرفان ركام الأقنعة.

الماضي حديقة خلفية

الماضي حديقة خلفية
لأقفاص مليئة بالأيام
والذكريات سلاسل دمع
تقطعها طيور هاربة في يوم ماطر
وهو بمرآته، طائفا،
يُري الأيام أيامها
....
أريد كلمة أقطع بها هذا الصمت
أريد ورقة
أزن بها هذا الظلام

تنطف الكلام حبراً
يتزين الأرق لِليلته
الوسادة مفتاح
لكنز من الكوابيس

تعبت من هذا القص
أريد أن أومىء

تعبت من يدي

أريد أن انظر، فقط،
وحتى هذا لا طاقة لي به

العالم مشهدٌ
يطفو فوق جثة المكان
روائحه ساهرة

مدارا الصمت والكلام

لا علاقة لي بهذا الصمت
لا علاقة لي بهذا الكلام

منحنٍ لأُخيطَ أحلامي
في هذا الفتق الهائل
لجلباب العالم

تبغ وأحلام كثيرة

الكتاب ساكن على الطاولة
ينتظر ريحك
لتتناثر كلماته

تبغ وأحلام كثيرة
أيتها المرأة
تكفي لأن أقطع هذه الجبال
والمنحدرات بضبابها

يدٌ في أبخرة الأزمنة
تلوّح
والسهوب اختراع طريدة عمياء

قمر ممحو يتشبث بجدار الهواء
تنبحه سهول بجليدها المترامي

يد تلوّح واجمة
فيما الهواء يتدفق

كأن آلاف الأيدي الخفية
تدفعه.

وجه في المرآة

ـ محاولات عدة لكتابة قصيدة واحدة ـ

غالباً ما يحدث
حين أنظر فى المرآة،
كأن وجهاً آخرَ
هو الذي يطل

أنظر في المرآة
فإذا بي
أرى أني لست أنا

أنا إثنان
وجه في المرآة
ووجه ينظر لذلك الوجه

أنا وجه أول
ينظر إلى وجه ثانٍ في المرآة

صرت أتعرف شيئاً، فشيئاً
على وجهي الآخر في المرآة

وصرت دائماً أستضيفه

وجهي في المرآة
ضيف عليّ

حين أطل في المرآة
ـ في الزجاج السريع العابر ـ
أبدو غريباً لي
.. وجهان،
وجه في المرآة
أخذ يشيخ
وآخر يتعجب له!

وجهان
واحد طافٍ في ماء المرآة
وآخر طافٍ في الهواء المحايد
كأنه بلا زمن

كريستيان ستاد

هذا هو دوري

ألمّ صورتي من تحت أهداب النساء
أنا سين يوسف
أنا هاء هابيل تُدحرج
النساء في فراديسهنّ
يتجمعن في مراياي
أنا ساحرُ الأرض
أُري العالم صورته
لغتي الوردة الباقية
على غصن هذه الصحراء
أعطي كلّ كلمة لونها
عند ينابيعي تهجع النسوة
أنا باء أيوب
أنا نسّاج الظلال
أصل عباءة الصمت
برياح الجهات الحزينة

هذا هو دوري
أكشط الكلمة،

بحثاً عن دمها
أُسعفُ اللهب ينوس
في أعين الفتيات

هذا هو دوري
بسالة محارب
ظهره إلى الحائط
وعيناه في الأفق
ليس من مُتسع للتراجع
كحكاية تُستعاد، أبداً

أقتل المزيد من الكلمات
وأبعثها

أرسلُ كلّ حرف إلى حتفه
ألوّن جملة الأبدية
بفواصل الرمال

أنا من يُنقّط النون
يُحييها
هذا هو دوري
أن أعشق التي أعشق،
أن أتناولها

من أظافرها إلى يائها

دمٌ يصعد في الكلمات
وشريان ينفجر
هذا هو دوري
أبحث عن كلمات
لم تتمرغ في هذا الحبر الشائع
كلمات لا سحنة الليل لها
ولا النهار
لا المرضى ولا الأصحّاء
لا القتلة ولا الضحايا
لا الشمس ولا القمر
لا الهواء ولا الاختناق

كلمات لا تُسمّى
لا تُنطَق
لا تدلّ

كلمات مسدودة كالحجر
ترجّ فضاءً راكداً
كجناح يقطع قبّة انتظار
تتقوّس على كائنات من حجر

هذا هو دوري
أن أُهشّمَ الزجاج
في وجوه التماثيل
أُطلق كلماتي

وانتظر أثرها
كوحام
في ما يأتي

السويد
1997-10-10
تمت في3-7-1999

تحت رايات لا تعنيني

تحت هذه الرايات الخفاقة التي لا تعنيني
أُبدّد هوائي
منصتاً لهذا النفاد
في مساء مغلق كرسائل المكتئبين،
منصتاً لبرودة النجوم في عزلتها البعيدة
أستعين بغيمة لأسندَ قلبي،
بنجمة بعيدة،
تومض
في مرايا ترفعها أمواج بحرٍ لبحّارين
حطمت الريح بوصلاتهم
ومخاوفهم أضحتِ الفنار
عزّلاً يغزلون أشرعة
تحت سماء لا تلوّح لهم
بسوى برق يجلد أعينهم
....
وكالسائر في نومه
يتبع نفَس امرأةٍ غامضة
تلهثُ ذهباً ونحاساً

فضةً وكحولاً
وقلبه يتأرجح
بين ربيع وخريف

تفوح المرأة ضوءاً
بين يديه،
فلا تجسر عيناه على المضيّ في الوهج
ماء، ينابيع، عشب
.. كلّ هذا الثراء،
ويداه تنحدران من سلالة القحط
•

مأخوذاً بما خلف الأبواب والشبابيك
مودعاً قلبه عند كلّ نافذة
يحرس صمتها
•
نهرم تحت هواء غريب
لا شأن لنا بشيء
مثل ملوك يُعزلون بصمت
وأكفهم مضمومة على مفاتيح
لا تفتح سوى خزانات نسيانهم

الظلال على أهدابنا تعبر

والمرايا لا تعنينا

سُبكنا من الرمل
لهذا نحنُّ إلى السواحل
مستعطفين البحرَ بشمعنا ونذورنا
•
تتكلم إلى الشجرة، كأنها شقيقتك
سائلاً الجذور عن معنى أن تطفو
بين الهواء والهواء
تتحدث عن النفي، عن بلاد أُخرى
عن الحيوات التي تُصطنع في البلاد ـ الظل
كأنك بلا قمر أو شمس
بلا أنجم توقّت بها صحراءك،

الينابيع تتفجر غيظاً
وما تعهده لم يعد كذلك

....
تعذّبه هذه الخرائط المطوية
.. كأعمى يتلمس الطريق إلى بيته
يتشمّم الأبواب
صباح الخير، أيها المنفى
صباح الخير بكلّ اللغات

ينهض سكّانك، مجرجرينَ ذكرياتهم
عن بلاد قتيلة
والدم ذاته، يغطي أحلامهم

هواء المنفى

يا ابنتي هذا هو هواء المنفى
لا لون له، لا طعم، لا رائحة
هواء لا هوادة فيه
السماءُ أقل زرقةً
وأكثر إطراقاً
غير أنّ الأرض، ثمّة
الأرض المغموسة بعرق قلوبنا..
خفيفة تمضي، مثل طيف..
تِدي خطاك يا ابنتي
الأرض صلبة
لقد خبزتها أحلامنا
طويلاً

الأفق يحركه عصفُ نظراتنا
وكتفا أبيك تَزِنان
الليل والنهار.

أخرس هواء المنفى
تعلمنا أن نقيس، بصمته،
كلماتنا..

قصيدة حزن إلى اديت سودرغران

ما الذي ترتجينه من سماء بلادك
المستندة إلى الخريف..!
تحت نجوم مغمضة تثرثر هذه الأشجار،
بذهبٍ كاذب
والقناديل
تتحدّث إلى النسيان
بين الثلج والرماد
مثلك الساعة، محتدمٌ وحزين، أنا
كرجل وحيد على هذا الكوكب
وأمامه قاحلة، تمتدّ الآفاق

الورقة تحت أصابعك
شاحبة كصحراء
يضيئُها قنديلُ دم
والهواء عملةٌ تالفة

تراودين الينابيع
فيأتلق جمركِ

تطلبين الزوارق، فلا تجيبك سوى كِسَر
الجليد
ساهرةً تحت قمر
توشك أن تطفأهُ رياحُ العزلة.

وحدة

لا تدلّوا ضياعي
لا أريد الوصول

مرامي الطرقُ التائهة

اتركوني وحيداً
كثيراً بـ وحدي

تحت سقف الأمل الخفيض

في الظلال الكسيرة
يتعهدون نبتة الأمل،
بضراعة الوجل
تتعلق أهدابهم
بالثمالة المتبقية من الشعاع

ها قد أحرقتم مراكبكم
فلا تلتفتوا
ليس، ثمة، سوى الدخان والملح
الذي يملأ
الجراح
ليس ثمة سوى نداءات الغرقى

وما من شاطىء أو قشة

الأرض ليست أكثر من حبة ذكرى
في مواضيهم الطويلة،

الكوابيس مدرجة في طيّات نومهم
والهلع مقعدهم المحجوز إلى المستقبل

بدموع غضة يصفون المناظر التي
غاضت
بشفاه يابسة يتهجّأون ينابيع طفولتهم
وما يعذبهم، هو هذا الهواء الأكثر
حيادية من صخرة في مكان لم يطرقه أحد

بأصابع راعشة يقلّبون الخريطة
يرنون إلى الأرض التي تتلاشى
في مقياس الرسم وسهو المهندس

ظلال الأقفاص على وجوههم

وهم يرتمون متخففين
من أحلامهم
إلى الأبد

اللُغة والضباب

كيف اَستطيع أن أتكلم
فالكلمات ما أن تخرج
حتى يتلقفها الضباب

أُريدُ لغةً، بلا كلمات،
لُغة تُشتقّ من
التراب،
الضوء،
الماء

أُريدُ أن ألمس جلدَ هذه اللُغة
أُريد أن أضمّها

لُغة لا تُحاكي الجنون،
بل هي هبتُه

لغة تحفّ بصراخي
مثلما تحفّ كفّ والهةٌ بنهد

لُغة لا تُكتب
لاتُلفظ

لُغة وامضة،
مثل نفَس امرأة
مثل حُب امرأة توشك أن تكون
غير موجودة

أين هذه اللُغة
وأية لُغة هي؟

فتاة

الصيفُ في جسدك
والشتاءُ لي

فاكهتك تملأ حُلمي
وفمكِ ينأى،
ينأى في ضراوة الكلمات المضمَرة
وفي اندلاع ربيع مفاجىء،
في شجرةٍ منتظرة،

أنت وجه الماء
حين يكون العالم صحراء بلا ملامح

أنت شجرة تنتظر،
نجمةٌ في سماء متصحرة
هذا هو موسمك
هذه هي شجرتك
وهذه يدي في أعشاشك

صيف 1996

مائة نسر ونسر

"صورة الجواهري"

أطلقتَ مِائة نسرٍ ونسر في حديقة الزمن
تجشمتَ العراق
....
أردتَ عراقاً، فأُردِيتَ مثخناً
تسيل مدى الصمتِ جرحاً وسوسناً

اعتصمتَ بصخرة الشعر،
كمحارب عنيد
ترقب العابرين،
محصياً الرسائل في البريد الذي لم يصل
نأيتَ،
ونوْتَ بالفرات
كنت تهدهده كلّ ليلة
حالماً بفجرٍ أخضر يرفرف على سهوب ذهبية
....

قامةٌ، نخلةٌ بين دجلة والفرات
تندغم في المنظور مثل قطرة
لتستعيدها السهوب، ثانيةً.

كتاب تسرده العاصفة

تحت سماء توشك أن تذوبَ،
كظلّها،
هذه الريشة العزلاء
تتقلّب
مثل صفحةٍ ضالّة
في كتابٍ تسرده العاصفة

بقوّة القسوة
تنكشف هذه الصفحات
وبما يحملهُ البرق من بأس
تُجلد الأسطر تنفرط،
حرفاً، حرفاً
في مشهدٍ عاصف
ترنّ فيه ضحكةُ مجنون
يقرع بحذائه قلب الأرض،
صائحاً..
ما الذي تنتظرينه أيتها الأرض،
انفذي..

حكمة تائهة
لا أحدَ يتلقّفها،
مثل ريشةٍ تحت سماء
تُوشك أن تذوب
فوق أرضٍ تحنُّ لأن تُطوى.

صورة السيّاب

حِجارٌ ندائي وصخرٌ فمي
ـ السيّاب ـ

الكلماتُ تسبقُ ظلَّها إليك
مُمسكاً بتلابيب الحياة، تقطع الدهور
كأنك أيوب السومريّ
كأنك تموز، للأرض مع دمه
موعدٌ كلّ فصل
كلُّ سُنبلةٍ، مرآةً، غدتْ
لشحوبك
كلّ زهرة، غدت
جُرحاً فاغراً ينقطُ أسفلَ قصائدك

في صياح البطّ البرّي[1]
في نظرةِ الكسيح الدارجة
في فضاء كونغاي[2]
تنزّ أجراس لوعتِك
سائحاً على نقالة
تشرب الحياةَ ولا ترتوي
تطلّ على مشارف الجهات

وكلماتُك سبرتْ مهاوي الجحيم
لك الكلمة وظلُّها
لك المعنى وصورته
صورةُ البلاد، هذه، إذاً:
في كلّ مرمىً طفلٌ قتيل وأمّ حزينة[3]
والسلالُ مليئة بالحَجر
صورةُ البلاد،
ها هي غريبةً، تعود
وظلّك الأرِق مشرّد فيها

1- عنوان إحدى قصائد السيّاب.
2- الفتاة العذراء في قصيدة السيّاب: "من رؤيا فوكاي"
3- السيّاب: "كان في كل مرمى صليب وأمّ حزينة".

المدينة الجديدة

يحدث أن أسمّي القصيدةَ الجديدة
مدينةً جديدة
إذ مع كلّ قصيدة
تولد مدينة.. بسحرها ونسائها
بلصوصها وخدمها
بمجرميها، بعشاقها وسَوَقَتها
ومثلما للمدن كآباتها،
آمالها وهزائمها
كذلك للقصائد

ـ قال، سأصنع مدينةً خالصة من الفرح
ليس من فرحٍ خالص
ليس من بهجةٍ تامّة

إذاً من الألم والغبطة
من الحبّ والكره
من البسالةِ وانعدامها
تكون المُدن

ـ قال، سَأصنع مدينةً خالصة من المتعة
وأخرى من العذاب
سأصنع مدينة من الماء والنار
من الغيم والصَّخر
من الزجاج والعاصفة

قال سأسكن قلبَ هذه القصيدة،
سأكون نهباً لزلازِلها

كانون الأول 1996 - أيار 1997

مهندس المتاهة

- إلى بورخس -

في الظلام المخضّر
مُؤرَّقةً، يدك، تطفو
وهي تخطّ جُملة الأبدية

أَيسعفك عُكازُك في صحراء
لا متناهية،
وقد تنشقت فيها، مأخوذاً
زهراتِ الضياع؟
مُشفقاً تضع أبطالَك
أمام مصائرهم الغامضة،
يتقلّبون،
ترقُباً وانتظاراً،
لكن دون أن يطرف لك جَفن
تتركهم يتساقطون
صرعى في الحقولِ الفسيحة
تحت السماء الزرقاء
أو في الغُرف الموحشة النائية
حيثُ آثارُ هواء الكوابيس في وجوههم.
بالذهب والنمور

تُضيء منتصف ليْلِك شاقاً بالأرق
نهر الظلام الدافق
لتتوارى كسطرٍ غامض
في كتابٍ لا مبتدأ له ولا منتهى.

سماء بطائر وحيد

سماء بطائر وحيد
مثل سطر غير قابلٍ للتكرار
في كتابٍ لا نهائي،
غامض
وسرّي

طائرٌ جناحاه منفاه،
ما من سكن يؤويه،

متأهباً يحطُّ على غصن الجنون
والمشهدُ تحته يتلامع
مثل لوح سراب
منكسر.

هاملت

في مشهدٍ، لم يُفصح عنه شكسبير
توسّل هاملت، جاثياً، على ركبتيه،
ذات مساءٍ كامد، إلى المؤلف:
دعني أرقد في سلام،
معذّباً سأكون
ما أن أدخل الكتب المسمومة
سأحيا وأُقتل في أزمنة عديدة
وفي كلّ اللغات
اتركني، وسأعطيك
حكمتي إلى الأبد
أعطيك جنوني
الحقيقي، لا المفتعل

غير أنّ المؤلف لم تأخذه أية رأفة به
وترك النصال المسمومة
تخترقه
على مدار الأزمنة
والهواجس تعصف به

كقميص في عاصفة بحرية
وهو يتقلّب، ويفكّر، أبداً
في كُتبٍ لم تخطر لغاتها على باله.

ذكرى صديق اسمه حمزة عبود

حمزة عبود
استعار من الأحلام، حُلمه
قال،
سأكبر ذات يوم،
وحيداً سأكون
وسيكون لي بيتٌ فارِه
زوجتي ستموت
وتبقى لي ابنتي الوحيدة
في أُمسيات الشتاء
سأجلسُ في الصالة،
سيكون هناك موقد أنيق
وفي الركن سينتصب بيانو كبير، لامع
وحيداً،
سأستمعُ في الأمسيات إلى عزف ابنتي
بينما غليوني في فمي
....

على كِسَر الأحلام

مرّتِ الحرب
ولم يبقَ من حمزة عبود
سوى طيف شارد
مثل نغمة بيانو وحيدة،
معلّقة.

صورة شخصية

"اهدم بيتك وشيّد زورقاً"
ملحمة كلكامش

تحدّرتُ من صُلب زورق
الشراع علامتي الفارقة
أُحبّ النساء
ولي قلبٌ يلتقط النأمة البعيدة
لتفتّق بنت

....

من صلب زورق تحدرت،
متدفقاً أجيء
كأني شعبٌ بأجمعه
شعبٌ
حين يغضب،
يحبّ
ويكره

الغرفة التائـهة

وأنا أخطو إلى غرفتي التائهة في الأرض
ثمة، دائماً، ما يُربك خطاي
لاخوف، وإنما توقع مباغتة
وأشياء كثيرة مبهمة،
قد تقع
مثل برق أو عاصفة عارية،
عاصفة تحيل كلّ شيء إلى صمت
إنه صمت ما بعد العاصفة،
حيث حطام الأشياء في أشدّ الوضوح:
شجرة تستلقي كفوضى على قارعة
الطريق،
أسلاك كهرباء تؤرجحها ثُمالة هواء
العاصفة
ـ هواء يصلح أكثر لتنزّه العشاق ـ
أطفال يلوذون بإمهاتهم وهم يُسارقون
النظر
إلى الأشياء المبعثرة

هكذا، قد تبدأ أو تنتهي العاصفة،

أو قد لا تقع أصلاً، فهذا لا يغيّر من
شعوري بالارتباك شيئاً
إذ لديّ الكثير من الهواجس
مثلاً، توقّع سيارة مسرعة ـ لا أستطيع
تفادي الرعب الذي تلحقه بي لمجرد
تصوّر ذلك ـ
ربما هذه السيارة المسرعة كحيوان فالت
من الأدغال تَحطم مرآة دمي
دون أن تدري،
أن هذا الدم قد سكّه الحنين، طوال عثرات
القلب،
ربما مطواة عرضية تقطع عليّ الطريق
والموعد إلى مقهىً على البحر،
ربما قاتل يكمن في الظلمة الملازمة
لمداخل البنايات والسلالم،
ربّما.. ربّما
وأنا ليس معي سوى هذا القلب السافر
كوجه
أُدرك أنه عرضة لطلقة قناص
أو نظرة طائشة من عيني ساحرة
تتقصّى طُرُقي إلى غرفتي التائهة

دمشق ـ كريستيان ستاد

خيال

أوقظ الخيال النائم في الحبر
أُدمي المحبرة
أُطشّر حبرَ الخيال
وأُزعج الحيوات النائمة في قلمي

سوريا ـ آب 1992

إفريقيات

تغشاهُنّ سمرةٌ كالظل
فارعات،
وحين يمشينَ
تبدو، في خُطاهنّ،
غابات كاملة

1992

قصيدة إلى الأخضر بن يوسف

هل نقول، (كلّ الأغاني انتهت)
ولم يتبقّ سوى الصدى في اليدين
هل نقول لم نعد نملك من صورة النخل
إلا الظل

....
لنا مع المياه جيرة وصداقة وقربى
الفرات في شرايينا
ودجلة لا ينام في أطلس
ـ في مكتبة الري ـ
دجلة اللازمة الحرّى، لكلّ قصيدة
تتعطّش البلاد
غير أنّ الرماد، يملأ الكؤوس
وما من راية تخفق،
تدلّ القلبَ على هواء صحيح

عطَبٌ في الهواء
عطَبٌ في الرايات
هل نقول، الأرضُ تنأى

وما عدنا نملك إلا أن نرى
أصابع أخيلتنا
وأعين خيلنا
متشبثةً بصورتها

ليست رسالة
(مقاربة شعرية)

إلى صديقي، براء

1

سأُدلي لك بفكرة..
أو أفضّل القول، أنّ لدي فكرة، كما تحب
أن تقول أنت، لمّا يكون مزاجك طيباً،
وتجدني منصت القلب
وأعتقد أنك الآن كذلك ترهف قلبك لتتسمع
نبض هواجسي
أكاد أن آخذ بيدك، اللحظة، أو.. شوقك
أقودك إلى البحر. . ربما أنت الذي
يقودني
إلى البحر، لنغسل أعيننا مما رأت من
السخام والدم

2

سنمضي معا، كصديقين بل كأحلى
صديقين

نُطلق قلبينا في المهرجان الدائم للفتيات
سأغضي عن تطلعك إليهن، وأنت كذلك
ستغضي..
أغضي فرحا ومشفقا على قلبك الغض ..
إذ لابد أنه نسخة أُخرى من قلبي المثقل
بتراث من الخيبات في الحب. لا يهم.
.. سأنسى، وأنصحك أن تصوب فؤادك
إلى تلك التي تنحني على زهرة الحب
متعهدة إياها بالدموع

3

يدي على كتفك أو بيدك..
سأصحبك إلى مسرح يقص الحياة على
مسمع الموج
ومرأى من الشمس والشارع الحر
سنضحك بل ينبغي "سـ" نضحك مما كان
يجعل الموت طوق النجاة
وأظنك تعرف الجهة والزمان اللذين
يقصدهما القول..

4

لنمضِ إذاً
كأحلى شريدين
كأحلى طريدين
من جنة بين نارين!

5

برق يتدلى مثل سوط،
أعشاب يابسة تزاحم أكتافنا
لاننحني
بل نمد العيون لنخمش جذر السحاب
......
أقول لك: أعدني إلى أرجوحة ..
أرجوحتك
ـ تلك الرياح نأت ـ
أسمع ضحكاتك، أني أتبينها، الآن،
مثل أثر أجنحة في ألفضاء!
أقول لك، أعدني إلى جهة الضحك، أو
حتى جهة الإبتسام

6

سأسرد يومي، أو أيامي، لأنها متشابهة
كأحجار، أحملها فوق ظهري وأدور بها،
ربما هكذا قلتها..
إنها أحجار، طبعاً ليست أحجار شطرنج
أو دومينو،
أي أنها لا تصلح لأي من أنواع اللعب..
إنها أحجار قاسية وكفى.

7

سأعيدك إلى البحر كمقابل للجفاف الصلد للأحجار. طبعا أنت لم تر البحر، إلا في السينما مثلي.. فقد كنت أسمعه فقط وأراه أحيانا في السينما وبطاقات البريد، غير أني عللت نفسي ذات مرة بأني،
أرى إلبحر..
كأن ذلك قبالة بحيرة الرزازة
فقد كانت مياهها زرقاء ولا نهائية كذلك ـ
هكذا بدت

8

ونحن في طريقتا إلى البحر، سأبيّن لك تراثي في الركض. أفضّل أن نكون بأخفاف رياضية، إذ طالما راودني هاجس وأنا أمام المحال التي تعرضها، بأن مثل هذه الأخفاف تصلح أكثر شيء للهرب!
إذاً بأخفاف رياضية وأمام البحر نكون قد أطللنا على أول مناظر الحرية، غير أني أخشى أن تذكرك زرقة البحر بازرقاق الأجساد المساطة.
لم أقصد باستدعائي السياط والأجساد أن أروّع هواءك، لكنها محاولة لطلب فضاء أكثر إنصافاً لأجنحة القلب..،
محاولة لأن أرى فمك، كما لو أنه يقبل الحرية وهو
يتهجاها..

حُررت في 17/5/ 1993
بيروت

خواتم الساحرة

كانت عيناي تتبعان يديها
تتوسلاهما أن تقولا شيئاً
إلّا انه لم يكن سوى ثقل الخواتم يرنّ
في عتمة الفضاء الذي أناره صوتُها

نظَراتي تسقط على الأرض
عينايَ ممسوستان بالدمع،
قلبي يطوي الطريق المغضّن من قفص
إلى آخر
خواتمها تُضيء الوقت الذي يُحصى
فيه وجيب قلبي

مثل عرافة أو ساحرة
تنخلُ الرملَ بحثاً عن المصائر الراسبة،
تفرك الخاتم إثر الخاتم
خواتم بأحجار لها لون سموم زرقاء نادرة
أو لون عشب جديد مهيّأٍ لاستقبال
دم قتيل.

الشاعر

بيتهُ في القصيدة
وبيت القصيدة غامض
الأرض دفتره ومرآته السانحة
والغيمُ في قلبه
بينه وبين المطر أكثر من وشيجة الماء.

الشاعر

محتدم طوال وقته
هو نوايا النار الكامنة في الأشجار
نوايا إعصار في غيوم مكهربة
هو بركانـيّ محتدم
لأنه ينطوي على نوايا الشرارة الخضراء
بين قلبين متناغمين

قلب

قد يبدو قلبه شاحباً
وله سحنة الرمل
غير انه في الوقت ذاته،
يشبه وردة،
وردة
هي أكبر من الصحراء
وأعمّ من الرمال

دكتاتور

بغرور لاحدّ له، يمشي
وبقنبلةٍ نووية
ودائماً، يُكرّر
جاداً أو مازحاً:
انها مجرّد سلاح شخصي!

السلّم

أفقتُ على سلم عالٍ
كل درجة فيه كانت تخلو من الفراغ
كل درجة لجسد
أجساد ليس ثمة ما يسترها إلا اللمعان
وفي كل درجة
ثمة مزية لجسد على آخر
ومع كل درجة كان قلبي ينزل
حتى صار في قدمي
واللاتي يسكنّ السلم
لم أعد أرى فيهن سوى همس عيونهن
... وبلا قلب صرت أصعد
كنتُ مستعجلاً الدرجة الأخيرة
التي كافأت حنان هذا الجسد بإضمامة
رمل!

موعد

كنا اتفقنا نلتقي السبتا
سهرتُ يومَ الأحدِ،
الإثنين
وغبتُ في يومِ الثُلاثاءِ
ولم أجدْ بعد
الثلاثاءِ
غير الذي حدّدهُ وقتا
ورحتُ كي استعلمَ البيتا
وجدتهُ ميْتا!

على سبيل الهايكو

1

قلبه جمرة
قلبه ثمرة
قلبه مجمرة أو شجرة

2

قلبه انفجار
بفصل واحد طويل
من البراكين

3

قلبه فضيحته
فهو يخفق لكلّ أُنثى
كأنه راية في مهبّ دائم

4

أقفو
أثر البلاد أو المرأة
بقلبي

5

صامت
غير ان قلبه
يثرثر بها

6

خطا في مدن الخيال
ولدهشته، وجد ثمّةَ
مصحّات وصيدليات أيضاً

دمعة السومرية

1

دمعة السومرية
على صفحة دجلة، على قبّةٍ
تخطّ السطورَ، ليُقرأ ما بينها معنى هذي البلاد..

وما بين السطورِ، نخيلٌ، دمٌ
ودجلة تزرقّ حبراً وغيظاً
ودجلة تُملي
وتمحو
ودجلة تطفو في دمعة السومرية
تحكي عن اسطورة الجوع في سنبلة

2

دمعةُ السومرية
تُسمّي الجذور

وتسِمُ الهواء
تقودُ إلى الأرض التي سكّها سكرُ قلبٍ
تؤكّدهُ هذه النبضةُ التائهة

3

دمعة السومرية
توجزُ الكوكبَ في نهرين

4

أنتِ دليلنا إلى مصائرنا، نضلّ فتهدينا رائحتك،
وجهكِ تعكسه النجوم في صحراء انتظارنا..
الظلُّ كثير، تفرشه إليك النايات المطمئنة في طلّ ليالي صيفك
حين، باردةً، دمعة السومرية، والبلادُ مسرحُ طيرٍ وشمس وقبابها تسبح في الهواء الأعذب، جاذبةً اليها صورة السماء بكلّ عمقها.

شاعر في المنفى

أسألُ أيها الشاعر
ـ أين بلادك ؟
....
فتمحو الغيوم دمعة
أو تثبتها، مثل نقطة على الحرف

أسألُ أيها الشاعر،
وفيما قامتك تسندها أنسر سبعة
لتكتمل أسطورتك
يحجب عينيك ضبابٌ غامض
تقول.. خبأتها في دمعة
خبأتها في وردة تحت القميص
أسألُ
أين مرآتك؟ أيها الشاعر
فتشير أصبع إلى الأفق
....
والذهب برادة الصمت

ومثل عراف يشتمل على الذهب والمرايا
والقناع،
تؤكد...
ان الدمعة الساهمة
مرآة لا تكذب.

كريستيان ستاد
1997-6-26

أكثر من أثر

من ألف الأُنثى إلى يائـها

2003

إلى سبع نساء،
يكرهنَ بعضهن ويُحببنَ سفكَ قلبي

اعطيني قصيدتك الجريحة
التي تشرح لماذا عليّ أن أحيا،
اعطيني دفء دمك
الذي أقرأه كما تُقرأ الأسطورة،
اعطيني، مهما كان النغم
اغنية التمثال غير الملموسة،
اعطيني مهرك الذي يركض لملاقاة
الكواكب الفتية،
اعطيني في لحظة الحب،
ما يلزم لإطراء الشاعر،
اعطيني، دون تقدمة حقّة،
كلمتك العظيمة التي تروّض العاصفة،
أخيرا، اعطيني لذّة
أن ابلّل هذه الصفحة بدمك

آلان بوسكيه

ثلاثة أعواد ثقاب أشعلتُ في الليل
الأوّل كي أرى وجهكِ
الثاني كي أرى عينيك
الأخير كي أرى فمك
والظلام كي أتذكر كلّ ذلك
حين آخذك بين ذراعي

جاك بريفير
ترجمة: ب.م

جسد من شرر وماء
يصغي لقمَري الشتاء والصيف

كأنها علامة بلاد بأسرها، هذه الوجوه المحمّصة بالشمس وماء البحر.
هذه بلاد الصيف، جغرافية الأجساد المتاحة لأكتشاف الحواس.
دون عناء تصدّق النسوة، هنا، نِعم أجسادهن، المفارِقة دون أسى لبياضها الشتوي، البياض الخدر في سباته، المضموم لتفجرات شمس تنتظر بدورها فضائل تبديد الجسد المكتوم، كقمر تحت كثبان غيم، يصرخ، كأنه لم يكن على موعد مع اندلاع الصيف في المياه السرّية لتشكّل الجسد.
واذا كان قمر الشتاء المرمري يُنضِج بخفر الوجوه والأجساد، فإنّ قمر الصيف، يفجّرها عبر حضوره الشرس المدوّي، عبر نحاسه وظلاله التي تتوهمها النسوة سمرةً، يعذبن لأجلها وهن الجسد

واستسلامه القنوع بين يدي شمس تتجرّأ
أن تكون كاسرة...

كواسر بأجسادهنّ، بهذه الأندفاعات الطائشة لثمار الصدر، للا أُبالية الزغب وكأنّه الشرر لمن يتلقّى هذه النعم الجسورة بأعين ومسامّ مصغية لشغب الجمال وفورانه.

....
كلّ شيء يصغي لتنهدات ذهب الصيف
وبقية معادنه الجريئة..
الشجرة تصغي بكامل اخضرارها
الطريق بقسوته وصمم حجارته
الماء يصغي، كذلك، بكل مائه.

جسد في الماء وماء في الجسد
الماء مفتاح كل شيء، مفتاح كل جميل
والعاشق يتشرّد في صورته وإصغائه

أجسادهن تنزل المياه، والمياه أكثر وعياً
من أية يد تدّعي الإحاطة والإطاحة بفيض
أجسادهن.

المياه حيلة لإجهاز لا تفلت منه مسامة
واحدة من ثرائهنّ!
إذاً، فليذهب الماء محسودا، حتى آخر
قطرة...
قمر وشمس يتناوبان لأجل صقل كل هذا
الجمال.
جمالٌ على صفحتي شمس وقمر
قمران يطبخان وينحتان ماء وشرراً

قمران
واحد للصيف وآخر للشتاء
قمر ساخن، كاسر يقوّم بحدّ مديته ويقدّ
وقمر بارد، ساهِم يترك لنوره إكمال
صنيعه العجيب.

شتاءٌ وصيف
غيوم ووردة ضاجّة في وضوحها
شرر وينابيع، رذاذ نهري، وينابيع شرر
جمال يتقلّب في لا فصوله، يدحض أباطيل
الشتاء والصيف وخدمهما من الخريف
والربيع،
جمال ينبثق من الشتاء ليكون ضدّه
ويصعد من الصيف ليدحر الصيف

جمال هو الشتاء والصيف بحواشيه الذهبية
من الخريف والربيع
جمال، سحر، هو موسم نفسه واسمه.

كوردة دافئة، تنبضين بين يديّ

الفجر وردتي البيضاء
مُنتضياً شعاعي
أخرج، كاشفاً عن النبع والشجرة
قلبي شقيق الكائنات، بدءاً من الحجَر
وخلوداً إلى الوردة التي يعبق بها جسدك
أحببتك، مزيجاً من زرقة الليل وزئبق
الفجر،
تنبضين بين يديّ، كوردة دافئة
أتملّى عَرَقها بفمي

شقيق الكائنات قلبي
أوشوش سرّتك وأشمّك
أصافح الينابيع في عريك،
أحيّي اغفاءتك وصحوك، غيبوبتك،
وسهرك الضاري.

بريد أزرق هي أعيادك، وراية تخفق في
الهواء السعيد،

أستمدّ شجرتي من حديقة أيّامك،
وأنت مليكة الغابات..

الفجر انصات الزمن إلى زمنه
أحيّي كلّ قطرة ندى على وردة
أخلط زرقة البحر بذهب الشمس
أشتقّ انثى، عند كلّ نفَس
أُكدّس النساء في قلبي
وأصرخ في الغرام الطلق باسم واحدة
تحرسها أحلامي وتسهر أعضائي، عند
أنفاسها.
الفضّة تقطر منك، أغبط دريد بن الصمة،
لأنّه اكتشف هذه الأقاليم قبل أكثر من
عشرة قرون:
"كأنّها فضة قد شابَها ذهبُ".

ذهب وفضة، عشب وحرير،
هكذا هي الأنثى دائما..
شحوب الذهب أو وجوم القمر
....
الفضّة، الماء اللازم لإطفاء رمل الإعرابي
بسلالته العطشى.

العُشب، لابدّ منه لحَيوان قلبي، وهو
يتشمّم، مأخوذاً في نواحيك..
والحرير، ما مِن ليل يكتمل دونه، كأنّه
الضماد لجرح قلب يُسعف بأنفاسها..

المهبّ والجهات في جسدك
صرت ورقة تحتشد بالإصغاء
صرت شجرة تتلفع بروائحك وشموسك
أيتّها الكاسرة.

أُسدي اليك هيامي

ظلّك على القمر
خذي شغفي،
وقارني دمي، بوردة تغلي
أطبقي بأنفاسك على حلمي في صورته
....
ظلّك لون على أيّام
تتدرّج في بياضها وسوادها،
شمس يعلوها غبار النسيان
ونجوم مرسومة بالطباشير

أُسدي اليك هيامي، فتعود كلماتي، اليّ، مضرّجة
كيف أغسل الكلمات من آثارك
كيف أمسح عنها، حضورك
كما يمسح القاتل بصماته
عن أداة جريمته؟

الهواء الشغوف

في مساء ذهبي
ترصّدتُ هواءً يتوّج الأشجار والبيوت
هواء ينقل اسمك ورنينه
هواء يصغي، طويلا، لرائحة جسدك
فيما أنت، لاهيةً، وثمر أعضائك مرآة غدا
لعواصفي

العاشق

فقط،
أُجلسك
وأنظر إليك
كأسير،
ليس له إلاّ الرسائل
يوقّعها بجنونه
ويتأمّل فمك، تقطر منه، صامتةً
حروف الحب

رائحتها

رائحتك تصل
فالوردة شقيقةُ الهواء
كلمات وثيرة
تسهر قبالة نومك
في ليلٍ
يحصد الذهبَ
واللهب

أعشاب ملوّحة بصيحة الذبول

كلّ هذه السنوات
التي يخاطب، فيها، الخريف وجوه
الأشجار
كلّ هذه الغيوم المعطّلة
كلّ هذه الرمال التي تتكاثر في مرآة
الصحراء
كلّ هذه الأعشاب الملوّحة بصيحة الذبول
تشهد على فواتك

شهب تستدرج لحظة انتظار

الفجر ندى على وردة تنتظر
لها طاقة العطر والغيم والجنون،
هباتها كثيرة
والأحلام واحدة منها،
على أطراف صمتي أسيّر شغفي
أستعيرُ لضراوة جنوني أثواب حكمة
سادرة
نأمةً، نأمة
أُفكّر بك
مثل عاشق يرقب الشبابيك
التي تهرّب صورتك وأنفاسك
كم صبور القلب
يسكب جنونه قطرة، قطرة

عيناك شغف، تخالطه سماء متوثبة
عيناك صيحتا بحر وموج
وشهب تستدرج لحظة انتظار
عيناك شفاء الجريح

وندى على قلب من يظمأ في ظهيرة رمل
أنشغلُ بضوئك
فيما اسمك يُكمل اسم الوردة ومهبّها
وجودك يبرّر الوردة
ويمنحها تأريخها..

أُحبيك كوردة وحيدة
في مدارج الرماد
وأتبع النسيم الذي يثيره اسمك

برق،
نسيم،
ووقت
ما مِن ورقة قادرة على أن تلمّ الحفيف الخفي لاسمك
ما من غيمة قادرة على مضاهاة الحليب الذي تضطرمين به
ما من شجرة قادرة على أن تكون رخيمة، كأعشاشك
ما من شتاء إلاّ وبه مسّ منك
ما من فاكهة إلا وتلثغ بشذاك
ما من لهب لم يبدأه شرارك
ما من مرايا ليس عليها طلّ من فجرك

رائحتك تتقلّب في لغتي
وأصابعي تخلد إليك

البحر كلمة زرقاء

البحرُ كلمة زرقاء لا نهائية...
محّصت هذه الكلمة، في ضوء عينيك،
وكانت يدي تتسمّع الرمال الندية، عبر
أزمنة راكمها المدّ والجزر، حتى اكتملَ
قمرك في قلبي..
وصعدتُ من ظلام وساوسي إلى شرفة
ذهبك،
كانت خطاي مثل حيوان جرّحته قلّة
العشب والهواء.

أفلَتُّ قلبي على سلّم أسود، مخدوعاً بالغيمة
الملوّنة
والكلمات العابقة في حديقة سحرية، لم
تكن إلاّ في خيال غريق،
ولم تكن ثمّة مياه
بل الصحراء، مشرفة، تطلّ على
الصحراء
تطلّ على لصوص الأشجار،

وهو، يرى الأفق زنّار دم
يرى الأرض، كأساً، تشفّ عن رماد

....

بحثاً عن الجمر، عن الموجة، تعيد للبحر
اسمه طفقتْ أصابعي،
مستعيناً بضوء عينيك، بذهب صمتك
مبدّداً
أُحيّي مدينة الخيال، أسكّ من هوائها،
الطرقَ الموصلة إلى سُحب القلب،
حيث غبّ كلّ مطر، امرأة تتعرّى
ورائحة العشب تهبّ على يدي من جهة
الوردة الثالثة والبحر الرابع عشر..

قمرها اكتملَ في قلبي
لم يبق لي إلاّ ان أُعمّد اسمك بماء تنضحه
جهة القمر وأكسو ظلالك الثلاثة في
ظهيراتها المستلقية في وهج النسيم.

اسمك ونسيمك في صُلب القمر
التماع ريشك، مهبّ مرايا
دفء طائر، بطنك الجميل بزغبه وانصاته
استفاقة موجة، بعد أسر، كواسر عينيك

في قلبي أسمع اصطفاق أجنحتك
تمرّد اسمك، على الكلمة التي تحتجزه
غضب الطفل الذي يهشّم الكأس،
....
سأُخلي أصابعي لك

علامات العاشق

يمكث وحيداً
وهواجسه، مرآة غدت لصورتها،
ليس له إلاّ أن يُزيّن صحراء أيّامه بينبوع
ابتسامتها
وانهماك عينيها بتقصّي حضوره
قال لها، فلنكن واضحين،
فالشرارة التي انقدحت بيننا، ليس ثمّة
مايواريها
لا حيلة للعاشق
اعطيني يدَكِ
اعطيني أيّامك
هذا ماتُحتمه براري الهيام على أفراس
قلوبنا
التي آن لها أن تصهل

أضمّك إلى كلماتي

أُوقد لك راية،
صورتك تحرّك الهواء،
فيؤاخي شتاءٌ الصيف
وتتفجّر الثمار في ثمارك

ربيعي يحيط بشجرتك
فمنامك أخضر

أضمّك إلى كلماتي
حيث الصحراء تتناوشني بشررها
وصمتها
وعلى حافة المعجزة
تنبت أشجارك
ساكبةً الربيع كلّه

حبّكِ بإيجاز

أنت امرأة لا تُسمّى إلاّ بقتل الكلمات

آلان بوسكيه

1

غيابك يتخلّل هوائي

2

أُحبّكِ من الأبد

3

أُحبّك من قبل أن تكون البذرة
وقبل أن تلد الشمسُ القمر

4

أنّى ليدي أن تتذكّر الينابيع
وهي تجفّ في ريح غيابك

5

أُحبّك قبل أن أحبّك
وبعد أن أُحبّك
ومابينهما

6

يدي المخنوقة في صحراء غيابك
اطلقيها في الضجيج الناعم لتفتّق عشبك

7

ظلك الذي تبسطينه على الأرض
ظلك الغميق
كنهاية
يذكّرني بشهوة أن أفتكَ بشَعرك

8

يدي علامة انوثتك
احرسيها

9

أُحبيك كشجرة
أنا ربيع

10

يدكِ التي تُطيح بهوائي
ألثمها
يدك التي تُعطي
آخذها
يدك التي تُعطي
تأخذني

11

أيتها الطفلة
أيتها المضيئة، كبشرة الماء
ياجرس حزني الذي لايصدأ
....
انني أسمعك، تتثاءبين، كالنسيان
في مهاد الماضي

12

لا شيء يمسح الندوب التي تركتِها في
قلبي
...دعيني للريح والصحراء

13

أيتها القدّيسة الصغيرة
ذكّريني بأصابع قدميك،
إنّ لها وقعاً في قلبي

14

لقد سوّرتني الوحشة، وليلي طويل
معطوب الأقمار
يارعشة قلبي وخضّة دمي
دعيني فقلبي أعزل
ابتعدي شيئا، ياندمَ أعماري
كي أرى موضع قلبي

15

اتركي لقلبي موضعاً،
لأنّ الذي أبحث عنه، في هذا العالم
موضع قلب لا موضع قدم

16

أنا رجل يتناثر كالريش
في مهبّ البنات

17

أترك الفتيات مضطجعات
على عشب الأمنية
أتركهنّ للهواء
يمرّغ أعضاءه في أُنوثتهن
أتركهنّ يئنن...

18

أصبو لهباً
أشفّ عن رمل يغلي،
ياطينتي الحمراء، الباردة
ياخيال ذكورتي
انني أرى فحولتي..
على شاشة عريك

19

يدها المغمورة بالقفاز
تلوّح من خلف الزجاج
أراها، في البعد تلوّح
كما لو كانت تزيح ضباباً يحجبنا
أو تمسح دمعة سقطت، سهواً
على الزجاج

20

تعتني بالشجر
كما لو كان شعرها
ودائماً تحلم بصفين من الأشجار
يرفعان الربيع، سقفاً لهذا الكوكب
....
حين تفيق
لا تملك إلاّ أن تجهش بالشجر

21

أنت الورقة الأخيرة
في شجرة أخيرة

تشير، في اللحظة الأخيرة،
إلى الربيع

22

حتى اللحظة الأخيرة
سأدافع عن عينيك
لأنهما آخر ماسيتبقى

سيناريو ـ غياب

الشخوص: غيابك وأنا
المكان: في أيّ مكان
الوقت: ليل ـ نهار
اللقطة: قريبة. كبيرة. بعيدة
المشهد: مسافر ـ مقيم. قائم ـ جالس.
صامت ـ متحدّث
نائم ـ مستيقظ. وحيد ـ مختلط ....إلخ
الحدث: أُسقى غيابك، فأطفح بك

عندما يحتشدُ القلبُ بهن

كم امرأةٍ مزّقتني
كما مزّق الطفلُ غيمة

محمود درويش

كلام في الوردة المستحيلة

تحت هذه الورقة، أُخفي منابع نبضي التي تسلك طريق اسمك وتتهدّج بحروفه، دمعة، دمعة، حيث لا أعود أُميّز بين وقع قلبي ووقع رائحتك في حلمي حين تجدل أنفاسي وتقود شظايا حمّاي إلى نبع غيومك الباردة والمتشحة بعسل الضوء، فتحملني مراياك طيراً يفقد علوّه إلاّ في هوائك، فمدّي لي الهواء ليرتفع قلبي فوق أرياف تبتنيها أهدابي لمياه حلمك وثمار نجماتك الناعسة، ولتنحدر الأنهار بمهرجان كائناتها إلى أقدام دارتنا تتملّق قامة محبّتنا الوارفة وتستجدي أشجار أُلفتنا كي تتقلد الصحراء ظلَّ شغفنا المضيء كحزام زحل وحليب المجرّة.

غطّي في نومك ودفء نظرتي التي تحرسك، لأغطّ في حلمي الذي أفرشه لأنسكابك وأرهنه لأعضائك..

فترفقي بمياهي وهي تذبّ عن ضفتيك الأشنات وحطام الزوارق ودعيها تُثبت شراعي في هواء لا يربّي الأشرعة ولا الأمواج لتصطبغ رايتي بشمس ذابلة تذكيها زرقة أصابعي اللاهثة، وهي ترى إلى مداك المشع بفاكهة تقترحها عيناك في فتور الظهيرة أو شلل المساء فأشدّ قلبي إلى سواحلك الريّا والمستترة بأعشابها الرخيمة، لتمسحي بزيت ولهك المضيء ما اعتراني من دخان وغبار خلال تلمّسي الدروب ـ السراب لمياه شفقك المنحني. وتتحنين لألتقاط المحار، لأرى صوت لهفتي يسيل على أقواس نعاسك المشرئب..

وأنحني من حنيني، فتلتقطين بيسر ثمار إلحاح أعضائي على تذكّر مايتناثر من تفاصيل ذهبية لكسل جسدك الدائب في إعداد عسل تعلق به أخيلتي، ومصائد لريشي الذي يتقصّف تحت وطأة نظرتك الصارخة باسمينا يختلطان كالماء والماء أو كالرمل والرمل، فلنشرب نخب اندياحنا كموجتين في حضن انذهالنا الذي يتوقّد

بأنفاسنا المؤاتية، فريّاك، تهبّ شراعاً يحمل بعيداً زورقي الراهن المليء بأمكنتك المختلسة من ضجيج العيون.

عالياً حيث أُربّي قامتك وأحرسها بشهقة يدي وسائر أعضائي المترملة دون لمسة عافية مرآك وحيث أهندس أيّامي وأرصفها لقدميك الحافيتين كالنوم فلا تركلي نعاس أزمنتي، حين يسيل على معصميك ليريك حلمي المزرقّ كقمر يُجلد في ليالي الرمال.
خذي الشمعة وارسمي أُفقاً يوحّد قامتينا المبتلّتين بماء نظراتنا، فكم استحممت بنظراتي المترفّقة بأعضائك.

لنا النبع دائماً والأزهار التي تحاكي جسدينا الساطعين في ريف تقترحه أعشابك السمراء، لتهبّ الطبيعة وفية كالشاي في بريّة صداع يشقّ الأغاني والأيدي الحميمة المستسلمة لنعاسها كالقطط.
قد أنسى ما سأتذكّره ذات صباح ناصع ومبتل كالأوزّة عن بيتك الذي يجاور يدي

وملمس جنوني فأنجز أرقي المفتوح على إغماضتك، لأجل أن تبقى أهدابك أطول من بالي ولأجل أن تبقى سوداء أكثرَ في بياض يتقن البياض ولأجل أن توقظ يدي حين تسترسل في انذهالها أمام تدفقك بالبط والعسل الأزرق.
حرّري أصابعي من السهو والسجائر لتعدّ الأغصان والموجة لطفولك وتستعين بالحرير للأشادة بوهج نعاسك يتصاعد كأبخرة الذهب في سماء تحتشد بغيوم الفضة وكؤوس العشب.

يرتبك حبري وهو يرى إلى زرقة أو خضرة تموجك المليء كالأسفنج والأعزل كالجسد أو كيدي حين تومىء ولا تصل.
دائما لا وصول يا عربة الأسى وهذه الجراح سكك لا توصل ولا تنتهي والجسد سفر أو مسافر في أيّام تتموج، تزوغ كالزئبق، كمثلك.

أُرتب رائحتك الأثيرة وعادات أصابعك، انحياز عينيك ونكهة صوتك على شرشف الصمت الذي يحرضني على فرك

الزعفران والأبتهال لتوابل نعاسك في الحمّى ليتصاعد وهجك نافورات عسل وفضة تؤازر نحاسي الساطع في صيف جنوني الأصفر.
أُخمّنك خلسة لأتيقن اندلاعك مرعى يضمر الحليب والوعيد الأخضر لحصاني الكئيب.

كلمات على حافّة غيابك

في ظلام وحشتك، أُعلّق قلبي سراجاً،
أفرش العمر سجّادة، فجوسي ياغزالة..
دعيني أتنشّق رطوبة العشب وتنفس
الأرياف في الأصائل، دعي غيومك تغيّب
أكوان الدخان والضجيج واحتراق الأسفلت
وعيون الكلاب النابحة في غياهب لياليّ
المتوحشة واصطفاق الأبواب والشبابيك
في قلبي وجنون الستائر والقطط النائحة
في الريح، ألمنّي من أطرافي وأصرّ
دموعي وتهدّجي، أشحذ ظلّ ألقك
ياجوهرتي، مستمطراً لوناً لرماد هذا
القلب، مستمطراً خربشة منك لدفتري
الموقوف لتعنيف الريح والغبار،
يا جوهرة عمري الحطبي
يا ينبوعاً أنبثق في صدأ أيّامي
يا جمرة في ارتعاش لغتي
إنّ قلبي أُكرة باب مهجور لم يمسسه أحد
بعدك أو قبلك،

فافتحيني..
أنت السحر الذي يفتحني ويغلقني
يانبعي وحجارتي
اسقيني ياكأسي وساقيتي
خذيني إلى بركة انشداهنا لنحتفظ بشيء
من رذاذ الحلم لنباهي به رمالنا،
نقطيني بربيعك لأعرّي الأشجار من
غبارها،
قربيني من نجمة شفتيك الفاغمة، لأركض
في مسارب حلمي
يا محلومة قلبي
يا حليب الفراشة واخضرار الندى
يا ألوان رؤاي المشعّة
كم سأبكي في ضمور الحدائق وازرقاق
أطرافي وسهوم هوائي وتخشّب
لياليّ دون فجر يديك

....
أنا بريد لا يصل وشراع يختنق في مداه
وانتظار ينتظر...
هبّي من وردتك لتندثر الشوارع فيّ
وتختنق رمالي على ساحل قلبي،
هبّي من درسك لتتكسر زجاجة ذاكرتي
المدرسية وتلتئم مرآة المراعي الزرقاء

وأعثر على كسرة ريف، خلف سياج المدرسة.
أسألك، عشباً قصيراً وقميصاً أنشره
كالأفق، فأنا مرصود من الحجارة
والرمل، من العاقول والسموم...
خذي بيدي إلى هواء لم يمسّ
علّنا نقع على صورتنا في مرآته

ألوان لظلال الحلم

1

رماد السجائر، رماد الرأس، رماد ذكرى امرأة ملء الفم والقلب... تنهض من رمادك كعصفور وتنفض عن أهدابك برودة الرماد البليدة، ترنو إلى الوراء، تتكىء إلى ركام حنينك، فتنهدم، تستشرف في مداك شجرة، ورقة، عِرق ورقة...
لاشيء سوى عينين صلفتين لرصيف يعاندك. لا تحدّق في الرصيف.. عيناه من نحاس لا تنكسران، أنت الذي تنكسر كساق عصفور، وترنّ كجرس الكنائس كلّما قرعتك امرأة
جرس حزين أنت لايرنّ إلّا بامرأة تتكىء إليكَ، تقلّب رمالك، وتمدّ عينيك إلى ساقية ضلّت خطواتها وأضلّت صيّاديها، تحتمي برذاذ النواعير من الجلود الخشنة لنساء متمكتبات يسعلن كديكة..

تهوي بقلبك على الزجاج السميك، لتتلمّس ريفاً مستوحشاً في المدينة، ووردة مشرشفة بالندى بين فضلات السيّارات!

2

منذ ذلك الفجر النائي الذي مسّني بيد بضّة لجنية خارقة وأنا أفزّ مشرئب القلب متحسساً طعماً غامضاً لشفتين على شفتي.
منذ ذلك الفجر الذي قاد إلى غرفتي خطى الحدائق وأناقة الحمام وأنفاس السواقي، وأنا أجوس في البرك المتجدّدة والأنهار الساهمة، مفتشاً عن عري غامض لجسد ساطع في حمّاي، مستصحباً جنوني، مخترقاً الأصائل الوحشية التي أدشّن بها الكون، مذيباً المعادن التي أذكت تقصّفي، مختلسا الشفق من ورقة الأفق، وساكباً شاشتي تحت أشعة الوردة ـ الطعنة، ونائياً بقلبي عن أكوام الحجارة والدرس والدخان. منذ ذلك الفجر النائي، تشهّيت أن أكون بقلب مثل صفحة قرميد أو وجه تمثال لا تهزّه لفحة عابرة أو شمس مقيمة.

منذ ذلك الفجر تشهيت ذلك حتى لا يسقط قلبي كيد سائل أو ورقة يابسة أمام تنهد حمامة أو اختلاج هدب لجنية غامضة تهتك أستار ركودي ونأيي.

3

أغطّ في حلمي، ساحباً دثار عزلتي، فقد تخليت عن قلبي المعدّ للنصال..
كم من الدم سكبتُ في الشوارع والأزقة والقرى الغامضة وما سيأتي من شوارع وقرى ومدن وقطارات، لعيني عينين شاردتين، تسحقاني، لأغرق.
كم من غزالة أتاحت لي البريّة الناضجة في عزّ الإسفلت والدخان!
كم تعثر هذا القلب بالزجاج وفاءَ إلى ظلّ مدية.. فاسحبي رخاوتك أيتها النار، فرائحة الحريق هذه، لقلبي،
التقطي، أيتها الخوخة، جمراتك من فوق لساني لأتهجّى وجعي،
احسري حليبك، أيتها الحليب،
ضيقي بجفافي، يا سعة الينبوع
اني أقطر رملا وحصىً وكدمات.

حلوة عن كثب... مرّة في الغياب

في ذكرى عابرة من "سامافا"

أستميحكِ،
من أوّل السطر إلى آخر قطرة دم في القلب، فلقد اشتعل دمي حنيناً، وعلتْ رائحة أشواقي في برّية هواك كزهور مذبوحة، ولم يعد بوسع أجراس أساي أن تبقى نائمة في مهبّ أنوارك، ولا بوسع بياض ورقتي أن يبقى أبيضَ في انهمار سواد لياليّي وشحة نجومك الندية، فكيف أختزل المسافة إلى خط شاحب، كما في الخرائط وقلبي أوهى من ظلّ فراشة على نافذتك العالية وأعيا من غصن يهدمه جمر خطوتك..، فترفقي بشحوبي، ياعالية في سطوعك وأُفقك، خذي بيديك الناعستين كالحليب صحو وجعي ولفيه بقطن موجتك علّني أُشفى من الرمل ياضفة الثمار العالية والحلم الذي يخزن الشمس والذهب لفجر وسادتك، أطيلي ضوءَك لينكشف أرقي

المفتوح على لهاث صحارى مزمنة ولتتبيني بعينيك آثار عينيك اللاهيتين على شجر أيّامي المذبوحة عند قدميك... هكذا تتخطين العتبة غير آبهة بما يتناثر من ورق دمي على أصابعك، مزيحة ببرودة، كما تزيحين خصلات شعرك ماتكدّس من صراخي عند حافة صمتك المحروس بانتظاري وما تناثر من أُفقي على طرقاتك المأهولة بالنسيان وذهب بكائي.

مُري فضّتك أن تكفّ عن كتابة مرايا هزائمنا على مرآى من ظهيرة أعدائنا...
دعي الطيور تعرّش بمحاذاة شرفاتنا وافسحي لريشها أن يهب على أوراقنا الواجمة في الغبار، فهذا النهر أبيض كالورقة لأجل شفق تفاحتك أن يربو ويكتب في خلسة من الليل زرقة مسرّتي وهذا الأصيل المشتق من البرتقالة لأجل زغب يديك الباسلتين كساقيتي ذهب، توقدان شروق نأيي وتعزلان فجري عن ديكة سامقة، وهذه موجاتك تترقرق لأجل أن تشتم علوّ شراعي وهو يحرث الأفق،

فادني أرضك لأنعتها بالشجر ولأستر روابيها بغيومي.
دعيني أغرق في شمسك لأجدل أنفاسي بشذا نداك فقد غطّت رئتيّ كثبان مسافتك..
لفّيني لهباً أو مياهً تبكّر إلى بياضها مع عسل الشمس، انسكبي على يديّ لبن مجرّة أو نبيذ غسق، كي أرفع أصابعي في نوبة الكتابة والسجائر وأتشمّم آثار ما اجترحه حضورك من مواسم على ورقي.

أكتب، رغم أنّ جلدينا يشيان برائحة بريد أزرق يجاور الطبيعة ويستعير المسرّة مقهى يغسل أقدامنا من المسافات ويضيء مساءنا بنجمة تعدّ لنا الشايَ والريف.
أكتب كي أنسج المطر قفازاً لكفك وأُبعد القلب عمّا يجعله آنية جمر وكي أصل الضباب بقوس مظلّتك وأُطلقه شراعاً أو ساحلاً في لهب زرقتك.....

أصابعي في الموجة تضفر حليبها وفمي يسافر في شجر اسمك يقطف شهد حروف أمضَتها أنفاسي.

قلبي في بياض شراع تموّجه الظلال وكفاي في الموجة ترقبان البحر يتدثر قرب سحنتك ويلكز العرق الأخضر في البرية، فأهبّ منك وأهدابي مغموسة في الحلم لأقع في وردتك.. فأقيلي قلبي من تلعثمه، علّه يُقرأ في وضح الموجة، وصلي بريدي بثمار يديك لينطفىء التراب في حبرنا. ويتنفّس العشب في أوراقنا ويغطّي ما اقترفنا من غبار بحقّ ثمارنا العالية.

عذوبة جانبية لوردة عابرة

ثمّة فتاة من الجزيرة تنظر إليّ من أعلى سمرتها.

"أوكتافيو باث"

أحملك على نظرتي، ندىً يُشبه الدمع
أُذكّرك.. ليس هذا بكاء
هذا سلّم أُصعّد به غيمة تلتف بين ساقيك
حيث خطاك تقود عينيّ إلى بوابة وصيفتها الموجة

ممسكاً بالبرق
أكتبك وأمحوك
وأنت، هكذا

رأسك يرتمي إلى الخلف
،
لا دم، بل العطر أجرحه
فتسيلين

تتفصّدين زهراً
ويداي حائرتان في ما اقترفتا؟

وأنت يا مَن تفاحتاك قرب شمّي
أُدنيك من حريقي

....
يا صيحة هلال في تقويم بوذي
يا نوّار فصل قاس طويل لا اسم له
يا زحف عشب على قامة الصخر
يا وسم زهرة على جلد الحديد
يا ضجّة الولادة
يا نعومة الموت
يا عبور طير في المرآة
يا بيضة الفجر
يا عذبة
يا فداحة
يا نأمة
يا حرير
يا حريرة الحرير
يا ما لا اسم له
أهدرك كثيراً
حين أستنفد اللغة

اللغة، مسدّس، سهمٌ
وأنت هدف طائش
فضاء يهرب من الفضاء
شمس شَموس،

أنا ارتباك يسعى
ودهشة تلمع في ضوئك
مطر على شرفة قصية
مصباح على ما لا أعرفه من دروب
كوكبنا
ساقية وجرّة صبيّة تتكىء إلى نبع
شحوب له عاداته
بخور يتصاعد
الكون، غرفتي الصغيرة، الباردة الظلال
المشرئبّة النبيذ
أدخلها معك
خذي القمر واسندي رأسك، ريثما أُغيّر
أُفقي،
تناولي كأس غيم وتشاغلي بنفض المجرّة
عن الطاولة،
لا تبتئسي من الغبار،
فالحَمام حمّام بانتظارك
والضباب برنسك في يد النجمة

ليس ثمّة انتظار
ليس ثمّة وقت،
الفجر سريرك
وحمّاي لحافك.
نحن غابة
والضلال في الغابة
نحن بداية الإهتداء
نحن تلمّس الأعمى
نحن ارتطام نيزكين
نحن الحفيف والدويّ
ونحن.. الظلال تقدحها الفراشة.

حبّي قبائل دمع

أنده باسمك في البريّة، في الشعاب التي لم تأهلها الذئاب فتردّد الأعشاب والطيور، الحجارة والأزهار، حروفك كأنّها قطرات الذهب.. تهمي كنفَس السحاب على صفحة الطبيعة العذراء، وحيث السواد لم يكن بعد ولم يتعلّم الكائن هتك الأشجار واختراع الطرائد والأعداء.. حيث الحيوانات ذوات المخالب والريش ترود نبعاً واحداً، والشمس حيية لم تحرق ملاءتها، والقمر يشفق على المياه التي تتعشقه.

كلّ هذا والصمت مسترسلاً، كان، على عرشه الهدوئي، لا يجرؤ كائن على الإيماء بنأمة، غير قلبي الذي تدرّع بالمحبّة والصلاة، يجوس في الغابات والتلال، صائحاً على النجوم والأحراش، أن استمعي للألفة التي ينطقها القلب وللبيت الذي تحلمه المحبّة، واتعظي بمودة

المياه وهي تخاطب المياه.. إذ لا شِباك ولا خيوط تصل الضغينة بالقوس أو الحجارة، بل السفح أبيض يقتبس النجوم ليملي وضوحه على التباس الظلال ونوايا الهواء المكتظ بالأقنعة، صاعداً الأصائل بريشها الأحمر، يرى إلى الحليب يشبّ في ثناياك، لكأنّكِ، النهر تمورين حول ساعديّ وبينهما، أو لكأنّك حين ـ يهبط ـ اسمكِ، الخاتم الذي أفركه، فيكون الأفق طوع يدي، ذليلاً، كالستارة أُزيحها، فيتصاعد الضباب، ماثلاً، متقمصاً ما يخطر على على القلب من مسرّات وعسل، فألوذ بطيف وأُفوّض اليه لثغة قلبي وسائر أعضائي، فمري بفصاحة أعضائك وشموس جهوريتها، الضباب أن يكفّ عن ارتداء مرآتك لديّ وأن يُخلي بيني وبين زئبقها ليتضح لهب البريد.. ويتضح حنيني بما يكفي لأُريكِ دمي محتشداً في الخطابات التي يخذلها البريد عادةً، ولأُريك ما يمور من قبائل دمع تترقرق أمام قلعتك الشاهقة كآه تكدّس خسارة كلّ السلالات، فكيف أختزل كلّ هذه القامات

التي تحتشد بالنواح إلى دمعة مبهمة تتذبح
أمام ربيع عينيك الوحشي.

شجرتك ملآى بأعشاشي

أستقبل غيابك، إذ يضيىء الدمع أصابعي، لأتبين كلماتي، وهي تستجر لإسداء حنيني الأعزل كالأرق.
مهيبة في الظلال أتبين كسل عينيك وشرود أصابعك وهي تلمّ ورق أشجارنا العاطلة في انقضاء الحفيف، رخيمة كالإوزّة تتيهين في عشب ارتهاني..
أجسّ الهواء الذي بيننا وأحجز سلّم نجمة لآخر أنفاسك لأُبقيك في علوّك، كشجرة محرّمة ووساوسي طيور إلى فمك الحنين كالشراسة، كيدي تتدرّج في نعمتك..
هواءُكِ أبجديتي وفمي الحزين أسير يكرج بحروفك، يتسمّع لهاثك والوقت وسادة بيننا نقطعه بأهدابنا.
هوائي مشلول، إلاّ اني أتشممك، يامنجم العطر..
أصابعك، كم أخاف عليها، بعيدة عن زهوري

أصابعك المعدّة للندى، كيف تنفقينها في القفّازات..
أصابعك التي تلتقط أيّامي كأزرار مهملة في درج منسي
كم أشتهيها، تمرّ على جبيني، رفيقة، تقيل صداعي وتضفر النوم كي يهبّ الحلم على زرقة عسلك، باسقاً كالنبع، كقامتك تؤجّل الظلام وتسلمني النجوم، عنقود موج..

يدك تنام، ويدي في عناقيدك تقرأ معاني ترقرك بالعشب والمرجان، كقارب يسهو عن المدّ والشباك.
شجرتك ملأى بأعشاشي ورياحي رخيمة تحيّي شراعك
وأفقك المرفوع بأغنيتي.

موسيقى الكلمات تتدفق بك

كم أغفلتُ حنيني، مهدوراً يسيل، بعيداً عن ضوء أصابعك كم واريت ذكرياتي ورائي كالرمل، إلا أني في كلّ خطوة أكتشف نهر يديك يمحو الكأس التي تديرها الصحراء ويكتب موج أيّامي وفي كلّ نفَس تصعد حرائقي إيذاناً باشتعال الورود التي تذكّرني بكسل أصابعي واندراجها في الغبار، بالرغم من صراخ الأشجار في الليالي التي تنقطع فيها الرسائل، فجأةً، فلا يبقى سوى دمع ينحدر تحت نجوم تحصي حنيني وأحلامي التي تتهاوى كالغيم فيما أسير في نَومي.

الدمُ قراطيـة
2004

الدمُ قراطية

1

على حبري أُصلَب
ولقلبي رنة الورق المحروق
أُدحرج في الرماد
فأطوي قلبي
أطوي الخارطة
وأنهالُ بها عليّ
أنهال على جذور تصدأ
أنهال على رماد مريض.

2

يا فُرات
يا بكاء الفواخت
يا جرح الرجاء
مَن سجّالكَ، هكذا ، كتابوت
مَن جرّك، كخيط، من سجادة صلاتنا.

3

سَجنٌ، سجّانون
سجّانٌ، مسجونٌ
سجنَ، يسجن
سأُجَنّ..
وطني زَنزَنني
الأرضُ أمرَضتني.

4

يقطعون صبرهم بالسجائر "الوطنية"
وهم يرنون إلى صلبانهم تُسحَل
وعلى وقع أغلالهم يعتلونَ الأسرّة
ليُنجبوا الدماء للحروب.

5

أقطعُ الفرات دمعة، دمعة
وبدجلة منديلي الحزين
أُجفّف آلامي.

6

البناياتُ تعلو
الطائراتُ تعلو
الحمائم تعلو
ويعلو في الشخوص الرماد.

7

كم من الوعود الشاسعة، كالعطر،
تُخبّىءُ أيّها الكمّون؟
كم من الهواء أرديتِ أيتها الكيمياء؟
فألف كربلاء قادمة من شقّكِ
أيتها الكيمياء!

8

أرفعُ قلبي، نخباً
وأقرعه بقلب طفل
أرفعه سقفاً، فوقي، لأتقيني
قلبي الذي يفرفح
مع أجنحة حمام المزارات
والقباب الدامعة.

9

استنجدُ بالنيل
فيُسرع بردى
أشكو العطشَ
فألفي دجلة والفرات
في يديّ، مجذافين
أقطعُ بهما صحراء العالم.

10

أستدين عُشباً من "الهايد بارك"
فتقبض الشرطة على حدائقي.

11

أسند ظهري إلى الفرات،
فتنهال القوارب تحمل جثث القتلى،
والأمهات تشرئبّ عباءاتهنّ،
....
تنهال ريحٌ على شموع،
رمال على زهور

وأتهجّى الفرات، فأرى سياط العطش على شفتي!

12

دجلة جنازةٌ
يبكي عليها الفرات القتيل
وقلبي بينهما صرّة دمع.

13

وطني وظنّي
وطني وسجني - وطني سجيني -
وطني ستارةٌ منقوعة بالدم
تخفي براءةَ المشهد!

14

سماء زرقاء عالية - المشهد في حديقة وطنية - طاولة نظيفة لامعة،

قهوة سوداء كعيون البدويات
عينان سوداوان كالقهوة العربية
كلّ شيء مرتّب
سوى أنّ الجرائد تُقرأ بالدم!

15

هل الشعب عشبٌ؟
إذن، لماذا كلّ هذه الخنازير تعصف به!

* تعود فترة كتابة هذه القصيدة إلى أواسط الثمانينات، ولم أتمكن من اصطحاب نصها الأصلي معي، حين غادرت العراق، وقد بقي بين أوراقي هناك، وهي مستعادة هنا في أغلبها من الذاكرة، مع التنقيح واضافة بعض المقاطع الجديدة المكتوبة بين دمشق وبيروت في العام 1992، وقد نُشرت في مجلة الناقد، العدد 51 ـ أيلول من نفس العام، بصيغتها هذه.

دمعة أنا أُضيء اليك، يا شعبي

من ظلال عيون الأمهات الحرّى
من لغة عيون الأطفال المنكسرة
يهبّ حزني شجراً، عاصفة تقود مراكب
أسى الخليقة
في انهدام مرآة الانسان واحتراق قناع
الأرض الأخير

أسمع أنينك يا شعبي
أسمع طيور مسرّاتك القتيلة تتخبّط في
الهواء القتيل

أُنصت لنبضك يا شعبي
أمدّ قلبي قارباً، فاعبر في مرايا دمي
اعبر في نشيدي الساهر عند آلامك
اعبر في الكلمة التي تصوغها ارتعاشة
القلب
فها يدي تتهجّأ أحلامك

تتهجّأ قمراً وأنجماً لسقف ليلك الطويل
تتهجأ شمساً تغسل بضوئها
القلوب والأفاق المديدة
كقامتك يا شعبي.

بغداد ـ رؤيا

حَرْفٌ غُفْل
أضاءتهُ نقطةُ دم

غَينُ بغداد
عينُ الغدِ
ومرآتهُ الساطعة

ربما، بغداد، بيتُ الشمس
شبّاكُ الهلالْ،
وردةٌ، ريشٌ، غَمامٌ طافحٌ
يفتحُ البابَ لريحِ البُرتقالْ.
شَذرةٌ بغداد في تاج الزمانْ
ضَوعُ أنداءٍ
وإيماءُ نَهَرْ
شُرفةٌ للطَلِّ في ليلِ صحارانا
ومرآةُ قمَرْ..
رعشةُ الأمطار
تُفْضي لآزدهار السُنبلةْ

لمسةُ الروح على شرقٍ
يُربّي الموتَ،
يُعلي المقصلَةْ
ما سيَبْقى من شُعاعٍ
في جهاتٍ آفلة،
دَوح صُوفيينَ،
عشاقٍ بأرضٍ
لم يعد فيها سوى حلّين:

قَتلى
قتلَة

في رياح الأسئلة

ما سأُملي،
ليس من يأسٍ، ولكن
وحشة تُشبه نجماً
يمّحي في الريح،
أو.. حزناً أكيداً

لي هواياتي التي لم أحترفها
لي نوايا لا تهدّد دولةً أو نملةً..
قهوة الصبح وفي شرفة أيامي
على سهل بلادي
عطلةٌ يخلدُ فيها القلبُ للمرأةِ
أو للبحر.. يختار نشيده
وردةٌ تتعبُ من غلمة قلبي
ويدي تحت جبيني
تسندُ الفكرةَ والأرض البعيدة..
فلماذا حُلمي تكنسهُ الريحُ
وخطوي
تحت عينَي قاتلٍ يربك فوضايَ

ويحصي أبدي
ولماذا رمَدٌ يومي
وأضغاثٌ غدي؟

دمشق تشرين الثاني 1992

آلامنا في صورة تذكارية

شعوب كثيرة جرت تحت جسر الألم
كما وجه شعبي
آلام الشعوب تمكث عندي
وشعوب الآلآم تعرف شعبي

تحت جسر الألم عبرت جموع شعبي
غير أننا، في لحظتنا هذه، كأننا لم نبرح أمكنتنا
منذ ما قبل كربلاء هُيِّيء دمنا للسفك
وقلوبنا للإقامة في أودية الحزن.

ها هنا العراق،
المكان والشخص، الدم والسيف، القتيل والقتيل
سيمرّ زمن طويل كي نتعرف إلى وزن آلامنا
وزن كلماتنا التي تقصّر إزاء كفة الألم
ها هنا العراقي، وطن يتشظّى في المنافي

ومناسبة لخطابات تلقى من شرفات
السخرية، في الهزيع الأخير من فصل
اللامبالاة الكونية.

هل ثمة شعوب يائسة من مصائرها؟
تاريخها؟
ها هنا شعب في التجربة، يتخبط في شراك
كارثته
يتلفت إلى نسمة يحتملها زورق يرود
بحاراً ضالة

ها هنا شعب يخلي المكان لقاتله،
شعب يتخذ الفرار سفينة وحيدة للخلاص،
إلا انها ليست سفينة نوح!

كم من البحار المظلمة والبراري المنبوذة،
على أحلامنا أن تقطع لترى نفسها أخيراً
في مرآة ثلج!

حين يرفعُ الشاعرُ مرآته

إلى عبد الوهاب البياتي

وجهُ بغدادَ ظلٌّ ونارْ
وجه بغداد حَصىً أبيضُ
يَشفّ عنهُ ماءُ الدهور
وجهُ بغدادَ
يتَرسبُ في مرآتكَ، حرائقَ وأمطاراً
شُهباً وعواصفَ، ارتجاجَ سماوات
وكعرّاف أضناهُ ما رأى
يُضنيهِ ما يَرى

ترفعُ مرآتكَ
سائلاً هذه الصورةَ النازفة أن تكّف
،

دمٌ متدفقٌ على حجر مسنون
ـ تلك بلادي،
هكذا تدمعُ عيناك

ودجلةُ وشمُ عطشٍ تتقلده من الوريد إلى الوريد
....

يشرّدك وجهُ مَن تهوى
يشرّدك عشقك في غابة الريح والمطر
إذ خطاك، منفاك
والوطن يقبع تحت حجرٍ من دم

مَن يُزحزح الحجر؟
تسأل القصيدةَ ثم تلوذ بدمعتين
وأنت تُشير..
ها هما كجُرحين غائرين، يؤويهما القلب
دجلة والفرات
،

الأفقُ مرآتك
بجَنان ثابت، تتعقب اللهبَ الضاري

تتعقبه كجَناح
جناحُك يخط في كتاب العاصفة
مصائرَ المدن الغامضة

حيث منفاك وطنٌ آخر
منذ أن إشرأبّت أُغنيتك

كتابُ العاصفة مفتوحٌ أمامك
وأنت ترنو مثقلاً بحكمتك الحزينة
إلى ما يتناثر في المهب

أيّ ليلٍ سيؤويك، أو أي صبح
أيّها الشاعر
وليس من وجهة والأوطان مسدلة على خرابها

....
....

وطنكَ خطاك.

بإصبع باكية أُشير إلى بلادي

بإصبع باكية أشير بلادي
إلى سنابلها العالية كآهاتنا
أُشير إلى نهار بين نهرين
أو جسد مسجّىً بين صرختين

نهراك من دموعنا
وعبر آلامنا تمرّ أساطيرك
يا بلادي

بإصبع دامية أُقلّب
كتابك،
أتملّى سطور دمك
أتملّى الأُمهات يهرمن في ضبابك الأسود
أتملى عشبك القصير كظل قبر
يا بلادي

بإصبع ضارعة أُشير إلى غيومك
إلى طفولة ملقاة على قارعة قمر لياليك

إلى حبل الحزن الذي يصلنا بك

أُسمّيك بلادي
حين أُسمي بلاداً
بلا دم

من عاصفة الصحراء إلى ثعلبها مروراً بأشلائنا

وكأنّ التسميات تسخر منا
وكأنهم بصدد موتنا سينمائياً، وليس موتاً مميتاً! بدءاً من العناوين التي يختارونها لسيناريوهات الموت والمأساة وانتهاءً بالتفاصيل الصغيرة المبثوثة كقطرات دم الضحايا المجهولين الصامتين، على امتداد صحراء الرعب والقسوة.
ليس سوى أشلائنا تتجاوب مع صرخات الأُمهات وبقايا دموعهنّ، فلطالما تشرّبت الصحارى نظراتهن، وهي تهيل الأفق الأحمر على جثث الضحايا الذين يدثرهم الصمت والرمل..

شعب مغلول بين نهرين، بين نارين
ها نحن نتحدث من قاع آلامنا
نستعين بغضبنا، نستعين بذكرياتنا، فما من شيء قادر عل محو ذاكرتنا..

إننا نتقدم بسبعة آلاف سنة من الحكمة والعقل والنور، وكذلك الحزن
اننا نتقدم بسبعة آلاف سنة من الجذور التي جعلت الأرض تتماسك وتقف على قدميها.

ضحايانا على امتداد الخارطة
عميقاً في الصمت يمضون
حتى ليضيق المجهول بالمجهولين لكثرتهم.. شواهدهم من الرمل الأخرس، وليس من ثبات لهذا الرمل في الافق المفتوح على الرياح والغيب..
ضحايا يُعبّأ بهم الفراغ بين مأساة ومأساة، فهم ليسوا أكثر من أسطر تتشابه في صفحات الفجيعة التي لا تُحصى

سطور نحن في الكتاب العراقي الحزين،
سطور من الألم المديد، العتيق، مثل أنهار بلادنا
حتى لكأنّ النهرين لا يسقيان إلا شجر الحزن في أعماقنا، ليورق ضيماً وصمتاً ونواحاً..
شعب على أُهبة الوأد على مرأى من عالم سادرٍ في لعبة عولمة

عالم يفسح للألم العراقي كي يمر، يعبر القارات والمجاهل
حتى صار في كل بقعة نثار عراقي..
في أبحر الله االواسعة، التائهة، في
جمهوريات وممالك لم يسمع بها أحد
وفي فضاءات واجمة كطيور محنّطة..

سومريون، آشوريون، بابليون
طوائف، ملل ونحل، أقليات وقوميات
كلهم يلبسون قميصاً واحداً، قميص العراق
كلهم شربوا ماءً واحداً..

دجلة الفرات مسارهما في شراييننا
لهذا نجهش عند كل نهر، كأننا أيتام
نهرينا.

مساءلة

أُسائلُ الضفّةَ والجواهري
أُسائلُ أبا نؤاس
أُسائلُ عيون المها
أُسائلُ الوردة المحاصرة
أُسائلُ مكتبات الأرصفة
أُسائلُ شارع المتنبي
أُسائلُ الظلال في شارع الرشيد
أُسائلُ مشية عجوز ترافقها غيمة تائهة
أُسائلُ اليوم الأول لتلميذ في مدرسته
أُسائلُ ما تبقّى من كلام على مقاعد ساهمة
أين مضتِ البلاد؟!

ظلال وأقنعة
2007

الأقنعة احتمالات الحقيقة المتعددة

من قصيدة: ظلال وأقنعة

مرآة باسم

أنظرُ إليّ
نهرَ غضب، مكتوباً على جبين عاصفة
كلمةً تتململُ في دفتر صمت
اصطفاقَ باب في قاعة انتظار حجري
وشجرة توقَدُ عند خطى امرأة
أُشير إلى الماء
فيسبق كلمتي اللهب
اسمّي الهواء رايةٍ
تمزق عاصفةٌ الأفق
الكلمات التي بحوزتي تنضحُ من جهة
الزلزال
اسمي ليس لي
أنا الذي ولدتُ به، وجشّمْته ُالعواصف
حتى وَخطهُ الحزن

اسمي في المرآة
ينضحُ الظلّ والعاصف

صورة الذئب في القمر

صورة الذئب في القمر
والرياح محت كلّ شيء
موسيقى الهاوية هي التي تُسمع
والرمل الخطى الوحيدة المُتاحة

المساء الذي يطلّ من تحت الثلج
يقطعه الرجل الوحيد في المدينة،
بحثاً عن قنديل

الرجل والمساء
صديقان عجوزان
يأخذ كلاهما بيد الآخر
كأعميين يطوفان
يبحثان عن قنديل
معلّق في باب حانة

ظلال وأقنعة

نقيم في الظلال
متفقدين ذخيرتنا من الأقنعة

....
قال، كيف أخرج إلى الحياة، دون قناع؟
قال الثاني،
كيف أدخل البيت، دون قناع؟
سيتعرّف عليّ الهواء
تتعرف عليّ النوافذ
سأُشيح..
لكن سأجهر بأقنعتي
حتى تتكدس مثل صراخ مكتوم
لأشباح في غرف لم تعرف الجهات

قال الأول:
اكتمْ قناعك
وتنزّه حرّاً في الأدغال الطليقة،
دع الأقنعة تجفّ على حبل كامد
يصل الأفق بالأفق

....
القناع صمت ماثل أمام مساءلة هواء
متنكّر
الأقنعة احتمالات الحقيقة المتعدّدة

أضع القناع على الطاولة
أقف في مصبّ الهواء
متملياً وجه الحياة
تاركاً للشبح هزيمته السافرة
في عيد الأقنعة

أفق مترسب تحت سماء غزيرة

الوردة تكشف عن عطرها
غير أنّ ثمة زهرة سامة
يحتفظ بها مؤلف في كتاب،
كتذكار
للسطور العصية على القراءة،
السطور التي لم تُكتب
إلا بإراقة ضحايا كثر

....
عشرة آلاف زهرة قتيلة،
عشرة آلاف ريشة تائهة في المهبّ
كلّ ذلك لأجل تأكيد سطر واحد
من العطر السام
والأفق المترسب
تحت سماء غزيرة

أقنعة تتضح في الظلال

قناع كقطرة ضوء
يقصده السافرون في صحارى العتمة،
قناع يمحو إمضاء الليل

الليل أزرق
والقناع صيف
القناع شتاء لأحلام نائمين،

أحلام يبذرها الليل في حقل النوم
والأقنعة تتأكد في الظلال
....
الظلال هبة الأقنعة

رمل يهب في مرآة الصحراء

القلوب المضرّجة بدمعها
ترقد كثمار مهملة

الغبار على الشجرة
وما من حفيف لجناح

كلّ شيء غدا عميقاً ومؤكداً
مثل رمل يهبّ في مرآة الصحراء
القلوب على الشجرة
يلامسها الربيع، سريعاً، فتحمرّ، بدل
الزهور،
في المشهد المفتوح

الغيوم تلاطف العشب بظلالها
والنسيم الرخي لأصائل لا تُشبه أسلافها
من الذهب والمطر الممزوج بزرقة البحر
في لحظة أفعمها الموج بملحه

القلوب تتنفس مع الصباح
وتتشرب بياضه
تتشرّد في كسل عطلاتها المديدة

من يوم إلى آخر
تزداد بحيرة الملح عمقاً

والقشة التي يتشبث بها الجناح الغريق
احترقت في الظهيرة اليتيمة
تاركةً القلوب لصداها المديد
في مرايا النحاس

أيدٍ من سراب

إلى أُمي وبقية الغياب

تحت أشجار وحيدة
يفكّر برسائل الذين لا يصلون
فقط، صورهم، منعكسة في المياه المشرّبة
بالليل
فقط، أصواتهم، مبهمة، تصل مثل
ومض نجوم بعيدة
يتناهون في الصمت والغياب
ينصتون إلى غبشهم
لا طيور في سمائهم
وشجرهم كفّ عن الشجر
يستعيرون الصحراء نافذة
ويلوّحون بأيدٍ من سراب

في مواجهة العالم

غرفة مسدلة الستائر،
أوراق،
هواءٌ مُتيبِّس علىَ الجُدران،
دُخانٌ يتشبّث بفكرةٍ شاردة
:
هذه كُلّ عُدّته
في مواجهةِ عالمٍ
يتمطّى في أقفاص مُهرّجين.

يدان شاردتان

إلى عبد الجبار نعيم،
أيامَ دمشق، والآن

1

يداه شاردتان
وبعينيه يقلّب الوجوه التي امتصّتها الصمت
الوجوه التي استدرجها الظلام
بعينيه يربّت على ضوء وردة تهتز
بعينية اللتين رأتا أكثر مما ينبغي
يُعتِق الكلام

2

يداه شاردتان
وكوكب ما
يحنّ إلى مجاورة قلبه

3

على موجة أعمّ من البحر
ينتظر زورقه

منشغلاً
بعدّ الأنهار
وما من جداول أو سواقٍ تبلغ عطشه
متهدّجاً بالفرات
يقطع صحراء الوقت

4

يداه شاردتان
وبحلمه الذي صقلته الصحراء
يصف الفراديس

عَقِب كلّ قصيدة

عقب كلّ قصيدة
تسألُني امرأة شاردة:
مَن أنت؟
مَن أنت؟

عقب كلّ قصيدة
أسائلُ نفسي
أو أجيبُها

مَن أنا،
مَن أنا؟

هذه الكلمة إلى أين تؤدّي؟

صيفٌ أزرق
بلا سواحل
اني أفكّر، الآن،
في المرأة الباذخة
التي حسبتها، لوهلةٍ، طفلة
ولها كل هذا البَحْر
أفكّر في هذه الطريق
أو الكلمة
وإلى أين تؤدّي؟

أتركُ للهواء أن يقودني
إلى الجهةِ التي يعثرُ فيها القلبُ
على جهته

ابتعدتُ عن اسطورتي

كقمر ضال
يُلقى لمنظر فتيات مُترددات
ابتعدتُ عن اسطورتي

أحرزتُ شتاءات كثيرة
وكل الفصول لا تكفيني
أنا أكثر من شجرة

تُهرع إليّ الفتيات بشموسهن
أولم لهنّ ظلي
أسقيهن ورداً
فيما الصحراء على مقربةٍ تُحتضر

ابتعدتُ عن اسطورتي
لأرى في ضوء الشتاء الكسيح
غيومَ الأبد الممزّقة،
أفترسُ رمال الصيف

بحثاً عَن الوصايا الندية للساحرة،

يا ساحرة
أسمعُ البحار تتردّد في الأغلال
وفي أصابعي المعدن البارد
البحارُ ضَلال أزرق
تتيهين بعُريك، عندها
لا شيء يعدل عُريك سوى البحر

ابتعدتُ عن اسطورتي
نزلتُ الظلال الغامضة
منقّباً عن أسماء نسوةٍ
يتبادلن أقنعتهن في حُلمي

مبتعداً عن أسطورتي
مُلقىً في الوهاد البيض، تحت القمر
وحولي كل شيء يتلألأ،
أقلّبُ كتاب نُعاسك الذهبي
ومن صورتك يتصاعد الضوءُ، أشقر
كأنك بريد المنتظرين

ابتعدت عن أسطورتي
مُثقلاً بتراث اللحظة،

أرود شوارع لا تدرك المعنى الخفي
لاسمي
والفتيات، اللازمة الضرورية لكلّ مشهد،
يسدلنَ عليَّ ظلّي

أنا أسطورتي
أنا مرآة كلّ كلمةٍ تُجهدُ نَفْسها
أُري الكلماتِ أوجهَها ومصائرها
أمزّق أقنعتها
حيث الكلمة وجهْ.

أحتاجُ نجمتين،
حين تكون السماء صحراء،
لأضيء رملَ المسافات في ذاكرة حصاني
وأوقد صورتك شمعة أبدٍ
في ظلام مؤبّد

أنا أسطورة
يكتبها اسمُ ليلى
وليلى طيورٌ تتضاعف كاسمها
تضجّ في صدري

ابتعدتُ عن أسطورتي

عرفتُ الرمادَ والجمر
عرفتُ خريفاً مسلوب الذهب
عرفتُ ربيعاً ينتحبُ عند ذهبٍ مسموم
عرفتُ لاشيء

لم أعد أعرفني
ابتعدتُ عن أسطورتي.

الجذور

الجذور، الجذور
لولا هذي الجذور
لتفككتِ الأرضُ
وانشقّت
أو تداعت
كجبال الجليد

الجذور، الجذور
الجنين بها مشتبكٌ
في الرحِم

الجذور، الجذور
موصولةٌ، لا انفكاك لها
سرّيّةٌ
أو مجاهرة
بين آدم وحوّاء

الجذر وحده
يصل المنفيّ
أو دمعته..،
بتراب الصرخةِ الأولى

انتظار

وقبل أن ينام،
كلّ ليلةٍ
يُصغي إلى السكونْ
في سباتهِ العميقْ
يخيط كلّ شيء
....
الصمتُ في النجوم،
في انطفائها البعيد
في دقائق الظلام
في انتحار قطرةِ النّدى
وفي هجوع عشبةٍ
أو ريشةٍ لطائرٍ يموتْ

وقبل أن ينام
كلّ ليلةٍ
يُصغي إلى السكون
في انتظار...
علامة الإعص

صورة

الرجل العجوز
في الحديقة الفارغة
يبحثُ في دفترهِ عن
صورة حائلة
يرفو بها أيامه الزائلة

الكلمة المسوّرة كعزلة

محصن بالشبابيك التي لا تطل على أحد
أختار مصائري
أترك الأصوات تتمزق في الستائر
وصورة الشجر المتخبط في شراك
الخريف
لا أُريد لها أن تصل مسامعي
أقول ها أنا في مساء العزلات
المساء الذي يليق بصورتك وحدها
وجدتني أُجيل قلبي بين نسوة
يرمقنني بأفئدة لا تريم
وجدتني أُحدق في قمر منكسر
وصورة تتناهبها الظلال

الشمس على قلبي عمودية
أتبين فيها النساء يمعنّ في دمي،
يجرجرن ذكريات
قتلى هواء يهبّ من جهة القمر
ناشراً راية الصمت

أحلم بكلمة بيضاء
مفرغة من كل شيء
كلمة هي أخت الهواء، في صمته
كلمة تمرّ عبرها التواريخ بدمائها،
بأغلالها، بحرائقها
وقلوب رجالها المطفأة
كلمة تقول كل هذا، دون أن تحتفظ بشيء
كلمة هي مرآة
تعكس وجه الهواء، حسب
مسوّرة بذاتها
محصّنة كعزلة منيعة

أنا بورخِس

عيناي سكتان لعربات
أحلام مدججة بطيور الرعب،
زاوجتُ ملايين الأحرف،
بددتُ الألوان بيأس مقامر محترف

أنا بورخس
ضربة مرآة عملاقة

في شمس ساهمة
شقيق هومير، أنا
أصل أوتار قيثارتي
من شمس إلى أخرى

أنا بورخس
اعترف.. لابد من عمى ما للشاعر
كي تنفجر ملايين الشموس في قلبه
....
رأيت ما رأيت

رأيت أقنعة القتلة تُغسل في الصباح
تحت ماء يلتمع كالأنصال

رأيت الهواء الأخير
يتردد في صدور الضحايا
وهم محجورون في اللحظة اليتيمة
رأيت الأقنعة تُستبدل
بين قناع وقناع
رأيت الجمال الأخاذ كبرق خاطف،
الجمال الذي لا يولد سوى الفراغ في
العيون

أنا بورخس
رأيت نفسي أندغم في المرآة
ثم لا شيء
رأيتني، أذرو الظلام بمذراة القمر
وأنزل النهر،
عند صياح أول نجمة

أنا بورخس
صنو الاحتمال والدهشة
أنبثق في كل صفحة، سلسلة
من التأويل المبهم: المشع

....
صفحة، إثر صفحة
ألاحق الخفي والغامض من الجهات،
أُراكم الأقنعة
من القتيل إلى القاتل
وهباتي تتلاحق كألغاز
أجيء بقلب عطش إلى الجمال

الجمال مفتاح كل معرفة،
أخوض في كلام الشعوب
وأشفق على البشر من أنفسهم

أنا بورخس
عقب كل ضربة فأس،
أسمع صليل الذهب
مذكراً حريتي بسلاسل، طالما رأيتها
"تزيّن" رجالا في طريقهم إلى الظلال

عند كل كلمة
أرى النساء ينابيعَ وأفراساً
تلاعب الرياح أعرافها، تحت وهج شمس
معلقة كترس هائل،
يقطر شرراً

في أصائل تميل الأشياء فيها إلى الذهب
والنعاس

أنا بورخس
يقظة الأفعى تحرسني وكمون الذئب

....
أدخل برج الأسد
أرى العذراء على حرير أبيض
والظلام الوثير الأخضر،
ينيمها،
فأتملى رائحتها، بشغف صحراوي
يتسمع خرير المياه وحفيف الشجر

أنا بورخس
قلوب جميع الشعراء
صُبت في قلبي
أحببت ـ بملايين الجنون ـ الذي يتملك
الشعراء
ومت في الحب بقدر ميتاتهم

....
قلبي نبتة برية
لا مكان لها، لا عنوان

أقول..
الليل مرآة
وما من عاشق لا يسهر تحت وهج دموعه

أنا بورخس
لا أسكن إلا قلبي
ولا أرى إلّا بعيني

صورة المؤلف

لستُ أنا الذي
يحمل مظلته، متقياً،
مرصوداً من نوافذ قطار عابر

لست أنا الذي
يستلقي على بساط رمل لا نهائي
منصتاً للنجوم في علوّها الموحش

لست أنا الذي
بحقيبة، ولا وجهة له
ماحياً الحدود
....

أنا كلّ ذلك

قصيدة موجزة عن الزمن

هو وجه أمّي، غائباً
إلى الأبد
و
غرابٌ يزيّن شجرةً معرّاة
....

هو أنا أكتب قصيدتي
وأن تنظر إليها، أنت، أيّها القارئ
بعيينيك هاتين
في لحظتك هذه.

رجل بلا قناع

يطرح الرجلُ الوحيد
قناعَه
ويقول، هذه حياتي
لا قناع يواريها
فتّشوا قلبي فلن تجدوا
إلا أوديةً
مليئة ببقايا نصال
ومرايا تعكس
وجه عالَمٍ حزين

مستبد

لكثرما استبدّ وجهه بالأقنعة
لم يعد يميّز بينها وبينه

الوردة كظل وقناع

لوردتكِ، حسب، يعطي إصغاءه القلب
ويغضي عن الصحارى التي تهبّ.
موج ولهب يتقصيان اسمك
وكل قطرة مطر رسالة للكِ مني

أكتب وردتك عند كلّ أفق
تحت شمس تتصاعد ذهباً
مُعلّقاً جنوني
في الفضاء الطلق،
كتذكار

غالباً ما أتذكّر فان غوغ

غالباً ما أتذكر فان غوغ
وأنا أقطع هذه الحياة المجنونة
تحت مسيل الشمس
في مساحات، تتوهج
بسنابلَ مسحوقة

أقنعة متغضنة

ما كانوا ينتظرون بريداً أو زائراً
كانوا منكمشين في معتزلاتهم
ككائنات تنتظر أن تُهاجَم

وحيدينَ،
بوجوه مموّهة بأبخرة الزمن
ما عادوا بحاجة إلى مرايا

قصيدة تجريدية

في الصمت البارد
لعناوين كتب، تحتشد بالظلال والرعب

هناك يرى أحلامه
الأكثر شراسة
وإن اكتنفتها العناوين الباردة
لكتب الظلال

في العناوين التي تفسّرها نفحة الظلال
يبتني فراديسه
موثقاً صمته وكلامه
إلى شجرة وحيدة
كعنوان آبق
في برّية هاربة

ثمّة مراكبٌ لا تصل

بحقيبة وحيدة،
يجلس كلّ يوم إلى الشاطئ،
ينتظر مركباً ما
يركن حقيبته،
ولا شيء يفعله سوى التحديق في أقصى نقطة في الأفق.

لا شيء يقطع الأفق
غير أشرعة
لا تقترب
يتطلع إلى حقيبته
دون أن يفتحها
وقد نسيَ ما تحتويه

لا يسألُ أحداً
ولا يسأله أحد
يعود من حيث أتى،
مفكّراً في العودة غداً

إذ ثمة، على الدوام، مركبٌ لا يصل.

لا مكان لنا
2009

عابر سبيل يقول لمتشرد
هل لك أن تؤويني!

المجموعة، قصيدة "سؤال"

عند حافة السراب

عند حافة السراب
ثمة الأحلام التي يقتتلُ لأجلها الرجاء

....

إن أردتَ أن تبقى ساهماً
فابق على حُلمك أو حِلمك في خضمّ نافد الصبر
فالمطر الذي يتراءى لك على مبعدة كف
ليس ما يفصلك عنه الزجاجُ، بل لمعُ
سنواتٍ ضوئية

لا تستنزلِ المطر
كن يائساً كالخشب، كالحجارة، كالدمعة في صلادتها
قرّب من شفة الجريح الكأس
لا تأخذك رأفة بعشب محترق
إنه فكرة الأرض

الأرض التي تتبدّى في صورة جرحى
يتناهشون كأس سراب
ما من أنهار إلا في مخيلتنا
المجد للسراب
الصورة المثلى للحقيقة

لكن أية حقيقة جديرة أن تدوّن في
مضارب اليأس

مثلاً، القبضة التي تُستجمع في وجه
الظلام: حقيقة
مرورك تحت شجرة أمام بناية بنك، وهم

رسائلك حقيقة
كلماتك وهم

ما من شيء إذاً
لا تركن للسلالم، انها لا تؤدي إلى شيء
طوّح بالظهيرة واتبعها بالمساء
لا زمن يُقيّد في سلتك
كسمكة ميتة
لم يتبق سوى الكلمة

تستدرجك أو تستدرجها
لا طراد
دعِ الأسلحة تبرد
ما من ثأر
وما من طريدة تزن طلقتها

ضاقت الأرض بأحلامنا
مشاهد من الأرض

مشهد أول

لا مكان لنا
ضاقت الأرض ـ بما رحُبَتْ ـ بأحلامنا
لا مكان لنا

مشهد ثانٍ

يُهزمُ القلبُ لدى كلّ أُنثى تصبّ براعتها،
مديةً غائرة،
لا حول للقلب،
يُقعي طريداً
أو يُصفّد بخطوته العاثرة
لا حول للقلب
غير أنْ يبلغ الأغنية
شارد الأمنية

مشهد ثالث

مَن أنا! أسألُني، صمتاً
ولا أُصغي، فلا تحثوا الجواب،
....
هل أنا الكفّ التي مرآتها نجمٌ
وما خطّ السحاب
أم أنا الرِجل التي تخطو على
هذا التراب؟

مشهد رابع

تنطوي الأرضُ على بذرتها
وانطوى القلبُ عليك
....
فمتى أعرفُ فيكِ الشجرة؟

مشهد خامس (أغنية)

الأرض ماثلةٌ كمتهمٍ
الأرض مائلةٌ...
قد خطوة الأنثى توازنها

مشهد أخير

بلغنا عِتِيا من الحلم
وما زالتِ الأرضُ طفلة

لا تصلبوني
(أغنية المغني)

لا تصلبوني
فلستُ المسيح
لا تمنعوا عينيّ حتى البكاء
....
أُريدُ الغناء
فلي من كلّ هذا الحطام
خشبُ العودِ وصوتٌ جريح

لا تصلبوني
لا تقطعوا حلمي
ولا تطلقوا نحو أُغنيتي ألف سيف
،
دعوني وحيداً على الدرب
أنا وطنٌ شارد القلب
أنا كوكبٌ ضائعٌ في مهب
أنا موجةٌ على صخرةٍ تنتحب
....

كنتُ نخلاً
كنتُ رملاً
كنتُ ثلجاً على جبلٍ
صرتُ ريحاً تفتّش عن وطنٍ
صرتُ طيراً يحومُ على قبةٍ من ذهب
تعبٌ، تعبٌ
في تعب
ورغم انهمار الصحارى
ورغم اشتداد الظلام
أرى كلّ أُنثى نهاراً ونهراً
وقلبي مصبْ

نـهر الجفاف

وكلّما أُمعنُ في الطواف
فلا أرى سوى
نـهرٍ من الجفاف
حتـى كأنّ الأفق من خشَبْ..
وقد سرى الغبار
وهاهي الرمال
تسيل في قلبي
وتُطبق الضفاف، بالرماد

غابة الحطب

كأنما الخريفُ والشتاء
خطوتا تعبْ
يحتذيان قلبَه
في غابة الحطبْ

ذاكرة الأرض

شاختِ الأرضُ
يبستْ شرايينها
غير انّ ذاكرتها نُقعت بالدماء

الساحر

مرآة سوداء،
عاصفة،
وساحر مكدود العينين
يتتبع حكايةً غامضة لطائر مجهول
وفيما تُدوّم العاصفة حوله
يطبق كفّيه و يقول
كلّ هذا الريش لا يكفي لصنع جَناح
تدبّروا مصائركم
في هذا اليوم الطائر!

ما يسرده الصدى

سُدىً. سُدىً. سُدى
يردّدُ الناقوس في الفضاء
ويسردُ الصدى
حكايةَ الإنسانِ في ارتهانهِ الطويل
للحظةِ الميلادِ والردى

سؤال

عابر سبيل يقول لمتشرد
هل لك أن تؤويني!

سراب

كأنني تحت مصبّ الشمس
مُنتهَكَ القلبِ
وقفتُ في بابك
أسألُ كفيكِ
برودةً من كأس
قلتِ:
اشربِ السراب

شرار

أنا قلقٌ مشرئب
شرارٌ
على حَطب الصمت،
دمٌ ساهرٌ طوالَ الألم
وريحٌ تضِلّ الطريق،
برقٌ يُضيءُ إلى ذاتهِ،
خطوةٌ واجمة في عيونِ الذئاب

انتماء

أنتمي إلى الدمعة تروي ندمَ آدمَ وغُصة الفردوس
أنتمي إلى الأيدي، ممدودةً، في شتاء أبدي
أنتمي إلى الريح لا جهةَ أو وجهة لها
أنتمي إلى البراري لا تروعها صيحة الإنسان
أنتمي إلى الحجَر يؤثر الصمتَ والنأي
أنتمي إلى الناي ريحاً وحزناً

منصتاً للهواء

مثل نبي مطارَد
ومثل شعوب تتدارك زوارقها المثقلة
باليأس
تعبر الذكريات في رأسه
على الجسر
منصتاً لهواء يدوّم عبر التواريخ،
عبرالوجوه التي تكادُ تعيد تمثيل الحكايةِ
ذاتها
على الجسر
كأنه يحدّق في هاوية المصائر
ويقول..
ما أكثرَ الخطى ينخلها الزمن
ما أكثرَالغبار
و ما أقلّ ما يتبقّى من المدن

نينوى

قمرٌ وعشب
قنديلٌ لـ نينوى
تطلّ أويطلّ عليها من الرابية
لمثل هذه المدينة ينهضُ أكثر من ربيع
ويعبر أكثر من نهر
ويهبّ ما هو أخفّ من الهواء

المدينةُ التي تَصنعُ حياتها شجرةً، شجرةً
و قطرةً، قطرة
المدينة التي تحجّ اليها الذكريات
و يخفّ اليها الجَمال

إنْ كانَ ثمة ما يثير العجب في مدن ما
فالعجيب هوأن ترتضي نينوى أن تكون مدينة
على الأرض كباقي المدن
يليق بنينوى أن لا تقلّ عن أُسطورة
يليق بنينوى أن لا تكون إلّا هي

مكتفيةً بمَداها الفردوسيّ
مكتفية بنول الذهب الذي حاكها
وأسْطِرَاسمها

حديقة الكلمات

لا مكانَ له سوى الكلمات
لا تاريخَ له سوى الكلمات
ولا يدَين له من دون الكلمات

لا أرض له سوى الكلمات
لا سقف له سوى الكلمات
لا جدار له سوى الكلمات
لا حديقة لعينيه سوى الكلمات
وحتى مياهه تترقرق كلمات

حيرةُ آدم

هل الأرض حيرة آدم
حزنه،
وبقية تفاحة تَسوَدّ

آدم الطريد،
الوافد، الذاهل
وهو يرى الأرض تدنو من قدميه
(أم قدماه يدنوان من الارض.. ؟)

آدم الذي أربعين يوما
لم يُطق شمّا*
كانت الأرض تَمور
لم تتعطّر الأرض ليألفها آدم
بل آدم هو الذي اعتاد..

هل الأرض مهد جثة؟
مقبرة أحياء
كهف أصوات؟

أرض آدم التي ألفها على مضض
ليفارقها على مضض

كم هي الأرض تسيل
في دماء أبنائنا
لا ليرثونها
بل ليتوارثوا صفاتها
أصفاداً،
صفيراً في الدم
وسكيناً
مغمداً
لكن.. في لحم آدم

نهار السلالم

ليس لي من نهاري
سوى السلالم
أُحصي درجاتها
صعوداً ونزولاً
وثمة الهواء يكمل الخطى

ليس لي من الزهور، سوى
ما تؤول اليه ذبولاً
لكن.. ليس لي منك سوى يديك
وحدهما، لهما أن يحرّكا هوائي
وأن يُضيئا حدود السلالم

أمنية

أُريد أن أسكن عند قلعة حجرية قديمة
يتردّد في جنباتها وقع حوافر الخيل
وجلبة طبول الغزوات والحروب
أريد أن أسكن قرب هذه القلعة
لا شغفاً بذلك
وانما كي أهبّ لنجدة امرأة
اختطفها، ذات غبار مضى،
جنود الملك

ديريك والكوت

سبعين عاماً، وأنا أرى البحر يومياً
مطلاً من ذات الشرفة الزجاجية،
كلّ صباح
حتى أن البحر اكتسى لون بشرتي

مشرّدٌ في نفسي

مشرّد منذ وطِئ بكائي الأرض
مشرد منذ ان صافحتْ عيناي أول طريق
مشرّد منذ عبرتُ أول جسر
ومنذ أن ضجّت الشوارعُ فيّ

....

الغاباتُ كثيفة وقلبي أجرد
المرايا آهلة
والخريف ملء يدي
الخريف صائغُ الظلال

....

مشرد، لا حانات لدى شرودي
لا مقاهي ليديّ
لا أرصفة لخطاي
لا ضفاف لموجي
لا مراسيَ لأصابعي

....

مشرّدٌ تأوي اليّ الطرق، البيوت، الحانات،

الحفاة...
المهجورون

من السّراب إلى السراب

لا الليل، لا الأرق يستطيعان محو النهر
الأبيض الذي يتحدّر من يديك
ها أنا، أبداً، سطر أرق في صفحة لا
نهائية من الإنتظار
كتبتني العاصفة شجرةً وحيدة ومضتْ
أدرجتني الرعود في سجلّها المضطرب
ونسيتني

لم يكن ينقصني الهلع
حياتي لم تكن سوى قصة حيوان يتشرّد
من كمين إلى كمين
فيما هو يحلم بالقفز من نبع إلى نبع
هل عَمِيَ الحيوان
أم انّ الينابيع هي التي غاضت؟
....
كان الرعاة يعثرون على عيون الماء
مسمولة أو مسمومة

وقربها تتناثر جثث الأشجار والأزهار والطيور الزاهية الألوان، لكن قبل أن تنفق

لم يبق نبع الا وخالطه خيطُ دم
لم تبق شجرة الا وعَلتْها الأحجار
لم تبق قرية لم يفسدها المرابون أو الملوك
لم يبق منظرٌ الا وقد حجَبه الجنود
الرعاة تنكّروا لصوت الناي
والنساء لم تعد سوى عباءات مختلطة بالغسق

ما عادت رائحة الخبز تصدح في الأرجاء
لا أُمهات عائدات من الحقل بعرَق الربيع.

عليّ أن أنتظر الوردةَ في تبدّل أطوارها وألوانها
عليّ أن أعدّ اللحظات في تراكمها على جلد الفراغ
عليّ أن أنصتَ إلى ما ينفد من هواء السراب
ليترسبَ السرابُ خالصاً
فما من شيء مؤكد سواه

مطر

مطر
على السقوف والجدران
مطر
على الزجاج في النوافذ
مطر
على الأشجار
مطر
على الأكواخ والصفيح
مطر
على الأسمال
مطر
على الوديان ـ في قيعانها السحيقة ـ
مطر
على الأنهار والخلجان
مطر
على الإسفلت والحقول
مطر
على القبور

مطر
على المستنقعاتِ والخرائب
مطر
على المبتلّ واليابس
مطر
على ما لا يُرى
....
مطرْ..
إلاّ على قلبي.

الغريب

كم من الحانات في هذه البلاد
لكن ليس من كأس له فيها
كم من المقاهي
غير انّ ما مِن كرسي ليسند ظهره اليه
كم من البيوت على هذه الأرض
لكن ما من سقف يظلله
نبيٌ في الشارع
الشمس هالته
والقمرُ ممحاة تجول في دفتر نومه

للكلمات أبواب ونوافذ

عبر الأبواب يتدفق الألم، الحزن، الوحدة
و عبر النوافذ
نرقب حركة الغيوم، مرور الحسناوات
وتلويحة الأمل

أغنية

وِلِدنا حينَ استفاقَ الحريق
والأُفُقُ ادلَهم
لم يحفلْ بنا الشجرْ
لم يحفل بنا الحَجَر،

في الطريقْ
ألقتْ بنا الريحُ، ناياً،
على قلب عالمٍ أصم
مع اكتمال الحريق
كقَمرٍ في أفُق
نضجت خطواتنا ودبّت أخطاؤنا
فاتضحنا مرايا تحت شمس الألم

كلمات ليست متأخرة عن "جان دمو"

البصيص الذي يأتي من داخلك
سُرعان ما تردمه بالكحول والدخان
كذرّة رمل عطشى ترقد في مستقرك

لم يعرفْك أحدٌ يا جان
وبقدر ماكنتَ تنغمر في الصخب حد اضمحلالك
إلا انك كنت وحيداً
ثمّة قشرة صلدة داخلك تعزلك عن الآخرين
تعزلك عن نفسك

لم يعرفك أحد يا جان..
أنت أكثر من مرآة
أكثر من صورة
كنتَ تتلذّذ بلعبة التمويه هذه

حدّ لم تعد تميّز، في النهاية، أنت ذاتك بينك و بين الصور المتولّدة في المقاهي، البارات، مراكز التوقيف، غرف الأصدقاء المؤقته، ألأقبية، استعلامات الصحف، مراكز الإستشفاء، صفقات كتابة القصائد في بيروت، المجلات الفاضحة، مشاريعك الناقصة أبداً

....

في نهاية العالم
اكتملَ، أخيراً، وجود رجل يدعى جان دمو

في مدار الطوفان
2012

إذهبْ إلى الغابة

إذهبْ إلى الغابة
كن ورقةً منها
إذهبْ إلى النهر
كن قطرةً منه
إذهبْ إلى الساحل
كن حبةَ رمل.

في الغيمة التي تعبر السماء
شيءٌ منك
الوردة التي يقصدها الفَراش
فيها شيءٌ منك
شجرة، ربما أنت،
موجة ضائعة في نهر بعيد
وعطر يتشرّد في الجهات

أتخذُ الشجرةَ حجاباً

أتخذُ الشجرةَ حجاباً في الصحراء.
قطرةٌ خضراء
هي الشجرة
نظرةُ اللهِ الوارفة
ويدهُ الكريمة الندية
مبسوطة فوق صحراء هذا العالم
،
ظمآى نحنُ، حائرون كطيور في الليل
لكنّ الشجرةَ نافورة ضوء
ظلٌّ، مُتَكأٌ، بيت
ومائدة تُطعم كل الكائنات.

هل ثمّة كرمٌ أكبر من ذلك..
كرَمٌ أخضر، نديّ
يمسحُ بلطف على شحوب مُحيّا العالم.

إنكار

لا مرايا في يدي
لم أعد عرافاً
لم أعد قادراً على قراءة السحاب
ولم تعد تستهويني قراءة النجوم
،
نثار الزجاج على أهدابي
واللغة أخذت تذوي في يدي
كباقة رمل.

المغني

بقيثارته فرّ المغني
إلى ضفة الصحراء
،
مستنداً إلى الريح
أنشدَ:
لست نيرون
لأصعّد أنغامي مع ألسنة اللهب
ولست إله جدب
لأنتشي بالشرر الكامن في أصلاب الرمل
....
غنى وغنى
حتى انتهى قطرة
تنحدر على خشب قيثارته

سينما

يفكر في أن يرى فيلماً
تسير بطلته تحت المطر..
المطر على وجهها،
المطر يختلط بالنمش،
شعرها مبتل
تفوح منه رائحة حنّاء خفيفة
ـ نشمها أنا وهي، فقط ـ
،
لم تكن معها مظلة.
تواصل سيرها
وحيدة ترنّ خطواتها على بلاط الرصيف

أصوات سيارات سريعة عابرة،
في ضوء مصابيحها الأمامية،
ينكشف المطر مرتعشاً كالهوامّ.

الخوف بدأ يطرق قلب البطلة
الليل والمطر باتت تستشعرهما في داخلها

تُسارع من خطواتها،
تنعطف عند أول زقاق
تغيب..
ولا أتبيّن الذي يحدث بعد

صلادة

تضرب الكلماتُ قلبها الصلد وترتد
حتى لكأني اسمع لها رنيناً!

كنتِ في أصل الوردة

صورتكِ المنطبعة في خلَد الأنهار
تحملها أمانةً من جيل إلى جيل

ليس من غبار قادر على محوها أوضباب
وما مِن نهر شربتِ منه الا وعدلَ عن الإندثار

لم تكوني قطرةَ الندى على صفحة مرآة الوردة،
يندهش لمرآها طفلٌ تنقصه الكلمات،
أنت كنتِ في أصل الوردة
وفي أصل قطرة الندى،

الشجرةُ تجتمع كلها منعكسةً في قطرة

الطبيعةُ تأخذُ الدرسَ منكِ،
من تاجك

ومن قدميك المرسومتين كحِليتين
صغيرتين

أُفكّر في ابتكار أرض تفكّر بقدميكِ،
بضوئك
بكلّ هذا الذهب المصنوع من نعاسك
بكلّ هذا السحاب المتساقط من كلامك
....
أنتِ من سلالة الأنهار
من سلالة المطر

دَوَران

لكأنّما أمشي إلى نفسي
فلا أُحصي سوى رملٍ
وأنهارٍ من الذكرى،
رُدمنَ،
فتشخصُ الصحرا

لكأنّما أمضي ولا أمضي
كأنّ العمرَ قد شُدّ
إلى ثورٍ يدورُ مغلَّقَ العينين
لا يرجو وصولاً
أو يرى نهرا

عليكَ بكِسرة الذكرى
إذا ما لم تكُنْ نَسرا!

هي

تحدثك عن آلام روحها، عن تعطّل الجسد وانحسار الموج.
عن الرمل الذي صار يتسرب إلى كلّ شيء. عن الشمس التي ما عادت تحرّك ظلال العصافير على الستارة. عن ركود الأيام وصفير الخريف في غرف الأحلام.
فارغة نفسي إلا من آلامها، تقول. فارغ فؤادي إلا من اسم وحيد وراية مزقتها الرياح. الذبالة ترتجف.. كفّاك تحيطانها، تجهش مخاطبة الضوء، إحمني يا صديقي، ثمة الظلام يتزين ومرآته عين ذئب. لا تبدأه بتحية، الكلام فخ، فليمرّ سلامك تحت قوس السلاح، ولتكن قبضتك واجمة أبداً.

العالم

يتراءى له العالم، أحياناُ،
شخصاً معصوب العينين يقرأ في كتاب أمامه
في حشد من الصُم!

جموع

تحتشدُ الجموع، تتزاحم. تقول وركبها تصطكّ، خذنا إلى المعركة. أرتقي تلة كي أزنَ قول هذه الجموع. فأضعُ الأفقَ الثقيل في كفّة والرُكبَ المجوّفة، خرساء الخطى، في كفة ثانية. أتركُ المرتفع بقلبٍ واجم. أقودُ الجموعَ إلى النهر رغم أنْ ليس ثمّة من نهر أو حتى قطرة ندى. رأيتُ الصحارى تسيل في أعينهم والحطب شرابهم. عليّ أن أمتحن القلوب. هُم إلى الوهم أقرب منهم يومئذ إلى التيقّن. كتبتُ لهم عهداً أنْ لا أكتمهم النصيحة أو الغضب. رميتُ بالألواح غبّ نصف ميل من المجادلة. كدتُ أنسى عهدي وأتخلى عن مهمّتي في سوقهم بعصا اليأس. كنتُ ألمّهم كالماشية المتفرقة على سفح أجرد. كان معي ناي أخلو به إلى نفسي ولم أرد أن يتحوّل إلى عصا للتأديب. فطوّحتُ به من هضبة، وكنتُ أستمع إلى نغماته

الأخيرة بفعل الرياح التي تلقفته. كأنّه يلقي
عليّ سلامه الأخير. تلفتّ فلم يكن من أثر
للجموع. فقط، الهواء وبه أثرٌ من ناي.

الشاهد

كنتُ هناك،
في محطة بنزين حين توقفت سيارة أجرة صغيرة، ارتبتُ لمرآى الرجل الملثّم في المقعد الخلفي والمرأة التي تُلاصقه. لن أنسى وجه السائق وهو يلقي عليّ تحيته منطلقاً إلى.... حتفه.
شيءٌ ما قال لي، ان هذا الوجه لن يُرى حيّاً بعد لحظته تلك...
أردتُ أن أعدو خلفه لأحذره، أن أفعل أي أيّ شيء كي أُجنّبه مصيره المأساوي.. لكن ماذا يمكن لشخص أعزل مثلي أن يفعل وهو لا يعرف سوى محطة البنزين هذه في بلد يعجّ بالقتلة والضحايا؟

في اليوم التالي عُثر على الرجل مطعوناً إحدى عشرة طعنة في الظهر وملقىً على وجهه في طريق منقطع، وسيارته قد اختفت.

كان يوماً ماطراً

الطريق السريع خالٍ إلّا من سيارتين
بيضاء
وسوداء
السوداء تستقلّها الضحية ـ أي ما سيكون عليه بعد دقائق ـ
في البيضاء ثلاثة أشخاص:
1• السائق
2 • مصور هاوٍ يستقل المقعد الأمامي
3• قاتل محترف هو الرأس المدبّر لعدة عمليات قتل.

كان يعطي الأوامر إلى المصور والسائق.
الكاميرا تتابع السيارة السوداء بإلحاح
السائق يخفض سرعته أو يزيدها حسب إشارة القاتل في مقعده الخلفي.
المطر يرقّش زجاج السيارة، يتضايق المصور الهاوي قليلاً لعدم وضوح الصورة أمامه، يعدّل من وضعيته بين

حين وآخر، يريد التركيز على وجه الضحية.
يتأفف المصور والسائق، كلاهما:
إنه المطر
يبتسم القاتل، يقول هذا هو ما أريدهُ بالضبط،
دمٌ تحت المطر.
يشير إلى السائق أن يزيد السرعة...
يومض سؤال كالبرق في رؤوس الثلاثة:
يعترضون السيارة وينزلونه منها ليردونه في الشارع، تماماً تحت المطر؟
أم في سيارته وهو يقود؟

سيارة القتلة تحاذي الضحية تماماً
المصوّر يصوّب كاميرته
ينتبه الضحية. يلتفت صوب السيارة البيضاء.
يرى مسدّساً مصوّباً من المقعد الأمامي
وكاميرا مصوّبة من المقعد الخلفي

الكاميرا تلتصق بزجاج السيارة
السيارة البيضاء تكاد تلتصق بسيارة الضحية

وحدهما السيارتان على الطريق
الضحية
والقتلة
المسدس يرتدّ إلى الخلف، رائحة بارود
الكاميرا ترصد تدهور السيارة وانقلابها على جانب الطريق الموحل.

سيارة القتلة تتوقف على مبعدة أمتار من سيارة الضحية
حامل الكاميرا يهرع
والقاتل المبتسم
يطلق النار على زجاج السيارة من جهاتها كافة

المطر يتدفق غزيراً داخل السيارة
خيط دم بدأ يسيل ويشكّل مجرى في الأرض الموحلة
يبتسم القاتل عن رضى حقيقي
يأمر المصور بالتركيز أكثر،
ثمّ ينطلقون في سيارتهم بعيداً عن المكان.

قررتُ أن أتبعها

قررتُ أن أتبعها، مهما كانت الطرق طويلة ونائية ومجهولة. شيءٌ ما ارتجّ في داخلي منذ رأيتها. كانت رياح الخريف باردة هذا العام أكثر من المعتاد وأوراق الشجر تصفرّ وتذوي أبكرَ مما ينبغي، ما جعل مهمتي صعبة أكثر في تعقب آثارها، فالشمس أضحت بيضاء ولا دفء يُعينني على البقاء طويلاً متسكعاً في الشوارع. قررت أن أمضي وراءها أحتال على التعرّف على الطرقات أو الأرصفة التي قصدتْها بشتى الحيَل، كأن أجلس في مقهى لصق الواجهة الزجاجية في مكان أرجّح ترددها عليه أو أزور المحلات النسائية الخالصة بحجة شراء قطعة ملابس لابنتي، أو شيء من هذا القبيل. أو أذهب لتناول الغداء في مطعم أُخمّن أنها تحبّه، من الصورة التي كونتها عنها بخيالي اللاهب. كنت أترك في كل مكان أتعقبها

فيه قصاصة ورق أكتب فيها أبرز صفاتها ثم أوقعها بكلمة مجنونك، دون أن أترك شيئا آخر يدلّ علي. كنت أريد أن أكتشف إن كنتُ سأثير فضولها فتقصد المكان ثانية، إن كانت مرت به والتقطتِ القصاصة. كأني بطل قصة غابرييل ماركيز "عينا كلب أزرق" حين كان يترك هذه العبارة في كلّ مكان يعبره، على الحيطان، في أكشاك باعة الصحف وعلى صحون المطاعم التي يرتادها. وأنا ماذا يمكن لي أن اكتب؟ ليس لي جملة واضحة أكيدة أُبردها لها عدا إدراج بضع كلمات عن صفاتها التي انطبعت في مخيلتي، لكني كنتُ واثقاً باهتدائها إلى نفسها ومن ثمّ الي. ما من شيء يستحق أن نتسكع أو نبدو كمشردين من أجله، سوى الحب، هكذا كنتُ أقنع نفسي وأنا أشحذُ أجوبة نُدُل الكافتيريات المتضايقين والذين يبدون على عجلة من أمرهم دائماً أو موظفات مكاتب البريد الصغيرة التي يمكن أن تقصدها من أجل إبراد رسالة أو استلامها. مرّ حوالي الشهر على آخر جولة بحث عنها قمتُ بها، كدتُ أنسى أمر هذه المرأة وأمر هذا

النص لجملة ظروف ضاغطة. لكنها ها هي تنبثق أمامي كينبوع ماء عذب بارد بعد مسير طويل تحت الشمس في صحراء تلتمع كبطن أفعى. جاءتني في حلم قبل عدة ليال. كانت من العذوبة لا يمكن إلا لحلمٍ أن يُنشِئُها. قد تكون هي امرأة النص الذي أكتب أو ايحاء بامرأة أخرى حدّثتني عن امكانية معرفة مصير العلاقة بين رجل وامرأة من خلال حلم أو رؤيا، فجراً. قد تكون امرأة الحلم هذه مزيجاً من امرأة النص التي شرعتُ بالبحث عنها مثل بطل ماركيز والمرأة التي حدثتني عن امكانية التنبؤ فجراً، وقد تكون امرأة مندفعة من براري سنوات بعيدة حجبتها رمالُ النسيان.

امرأة الحلم هذه كانت خلاصة ما يمكن لقلب أن يحلم به من حب. كانت المرأة متأتية من خلفية موسيقية أو غنائية ولها طفلة وحيدة بين الخامسة والسادسة من عمرها. لم أعد أتذكّر اسمها الذي كان فيه شيء من صفتها، لم أعد أميّز أو أتذكّر بالضبط. هل هي المسيحية ابنة يعقوب التي كانت تبادلني نظرات صامتة

مشفوعة بابتسامة تعدُ بالكثير ولا يمكن لي أن أنساها. كنا هي وأنا عند حافة المراهقة، كانت خجولة وصامتة على الدوام تشعّ بجمالها وشقرتها الطاغية. لكنّها اختفت. كأنّ غيمةً هبطتْ، فجأةً، ورفعتها عالياً. وها أنا، عند كلّ مطر أتذكرها.

كلّ امرأة لدي لها قرينها في الطبيعة، فهذه ارتبطت بالمطر وتلك بالشجرة واخرى بالسحابة. حتى صارت ذاكرتي مرتعاً للرياح والشمس. ولهذا صرتُ غير قابلٍ للقرار في مكانٍ واحد، صرتُ كالريح أطوّفُ، أبداً، باحثاً عن مفردات الطبيعة في النساء وعن النساء في أشياء الطبيعة. ولذا لن أُفاجأ اذا ما تجلّت لي تلك المرأة، التي بحثتُ عنها طويلاً وصرتُ أُمضي قصاصات الأوراق وأتركها في كل مكان من أجلها. لن أندهش اذا ما وجدتها يوماً، شجرةً، أو سنبلة ملآى بالقمح، أو قطرة مطر أو لوناً ظاهراً في قوس قزح.

لم تكن ذاكرتي يوماً إلا بيتاً للشمس والرياح والمطر فلا عجب أن تشرّدتُ

وتسكّعتُ حتى صار عُنواني في ريش كلّ طائر.

قلبٌ بجَناح واحد

ـ شظايا ـ

قلب بجناح واحد يثقله عن الطيران سُحبُ الرمل.

البحرُ بالمتر يُقاس أم بالموجة أم بغضبه الأسوَد؟

....

قلب بجناح واحد والمطر مروحة السماوات..
يشتهي أن يصنع لقلبه جناحاً آخرَ من المطر،
من العطر الخفيف، من الابتسامة الفريدة الشبيهة بزهرة في نسيم مُعافى.

سُدُم. نقاط غامضة وصداعٌ يقودُ عوالمنا

يشتهي الشاعر لو انّ للروح والجسد، حينما يُظللان بتعب ما، ما يُشبه تقنية الكومبيوتر، حيث نعود بلمسة واحدة إلى النقطة المعافاة والمُعفاة من كلّ الم أو خلل. كأننا نعود إلى اللحظة البكر في عمر الكون، حيث الأشجار في ذروة فتوتها، كذلك الهواء، المياه وأجنحة العصافير.

صرتُ أقيس ضعفَ العالم بوهن العصافير وانكفاء غنائها.

قلبٌ بجناح واحد في قفص زجاجي، وكلّ شيء يدور خارجَ القفص..
الروائح، المعارك، الحب، الصداقة التي نلمّ شباكها، متراجعينَ، من برك آسنة...

كأنما يراقب العالم من نافذة فيفكر في الضجيج الذي سيتناهى اليه مختلطاً بروائح المكان، فيصفق النافذة ـ كأنما يصفقها إلى الأبد ـ متذكراً البريكان، أو ذلك الكاتب أو رجل الأعمال أو الجاسوس أو الفنان ـ لم يعد يتذكر بالضبط ـ الذي نصحه مساعدوه بعدم الاتصال بأحد أو

إتاحة أي امكانية للقائه، إلا من خلال التلفون مكرّسين بذلك عزلته التامة، المغلقة.

تعاودني صورته الحبيسة تلك، رصاصية، واجمة من وراء قضبان غير مرئية.

يحلو لي أن اتواصل مع العالم عبر دائرة تلفزيونية مغلقة، بل صوتية، فقط!

يقطعُ غابة الضوء متكئاً على نظرة كليلة فعيناه قد دبغهما الأرق وكبّل ذراعيه نهر صدىء ترووده ثعالب تعوي تحت قمر مُسِن...
ما من شيء صار يُبهجه سوى ذكريات الخَرْق والتحطيم...

يستعيد بجذل واقعة لوح الزجاج الكبير حينما اعترضه محمولاً من أربعة عمال، كان على مقربة منه حجر كبير، وبكلّ ما يختزنه من غضب انحنى ملتقطاً الحجر ولم يكن بعد ذلك سوى صوت التهشّم الجميل ومنظر العمال فاغرين، وفي يد

كل واحد منهم كسرة فقط من اللوح الضخم. سألهم عن سعر الزجاج وأتعابهم، مضاعِفاً لهم المبلغ ومضى سعيداً يصفّر ويركل ما صادفه من نثار.

قد يفكّر لو أن العالم لوح زجاج يهشمه أو يعيد تشكيله.
ربما أُمنيته هذه تذكّر، بمعنى ما، بأمنية ذلك الحكيم الصيني الذي "ارتأى" أن يولد المرء شيخاً وينتهي طفلاً!

من الحكمة إلى البراءة. هذا ما العالم بحاجة إليه.

قلبٌ في قفص زجاجي كحيوانات المختبر يحاول جاهداً أن يخرق القفص فيصطدم بجدران الزجاج، بالهواء المستخدَم، بالعشب اليابس كنشارة الخشب. يصطدم بالحافات المعدنية المسننة والدم المتيبّس فيقعي مثل حيوان هرِم يحلم بالمروج والأعشاب الغضة، بالمساحات الرحبة المصنوعة من الشمس وبراءة الحيوان.

قلبٌ في قفص زجاجي تستعرضهُ النساء
بسياط غير مرئية حالماتٍ بجلده.

الأرضُ تدور
والدم يجري
والشمس تضيءُ يوماً جديداً من الأسى
كذلك القمر، متعثراً، يُحصي جثث
الضحايا على امتداد ظلام العالم ويبكي.

ثمة جدار
لا تقربه الريح
ولم يشهدِ المطر،
جدار بيني وبيني
يهتف بي مع "حسين مردان" أنّ الفَ نهر
مطفأ في صدري
وأن عطشي هو نذر القبائل لصنم
الصحراء

في غبار العالم
لا يريد سوى قلب بجناح من مطر وآخر
من عطر.

استأجره

إلى سياسي عراقي

استأجره! لن تندم، خبرته في القتل تتعدى الخمسة آلاف ضحية. كل ضحية أوردها ميتة مختلفة. لن تجد أفضل منه في السوق..
صحيح، هناك أعداد لا تُحصى منهم، لكنه الوحيد، المتمكّن من فنه. يقتل على الهوية، على الكفاءة، على النزاهة، على البراءة..
يلتقط ما تريده منه، بالضبط في عيني ضحيته.
فقط أشر له بالمطلوب...
خبرة في المجازر الجماعية، في الاغتيال الفردي، في القتل علناً والتخلص من الموقف ببراعة. القتل بالكاتم يجيده طبعاً، لكنه يعتبره للمترددين والهواة، فقط، وهو أرفع منزلة من ذلك. مثله هو ما تحتاجه بالضبط، مثله ما تحتاجه البلاد، الآن. مللنا من حديث الكفاءات، مِن المناسب واللا

مناسب. استأجره، لن تندم، سيكفيك كل هذا الكلام الذي لن تفهمه. سيكون ثمة فقط، الصمت أو الدم الذي تُحبّ أن يتحدّث. لا تتردّد. اشتره!

من على الجسر

صرختُ مِن على الجسر..
كنتُ أريد القولَ، أن لا مفاتيحَ لدي
سمعتُ صوتي بلغة لم أفهمها
وكان الناسُ أبواباً موصدة
ولم يكن ثمة ما يعينني على التعرّف إلى الوقت..

تُراب مُشع

احتضنَ تراب وطنه بعد غياب عقود عنه،
مقبّلاً له وشامّاً..
جاءه رجل من بعيد مستغرباً منظره
المكبّ على التراب،
قال له ماذا تصنع، هنا، أيّها الغريب
الطيّب، كاد أن يقول، المغفّل،
ألا تعرف انّ هذا التراب ملوّث...؟!

تحت ظلّ نجمة

أكتبكِ تحت ظل نجمة
أكتبكِ ضوع نبتة برية،
وأتشرّد هبوباً
مطارِداً طائر السراب
لا أفق يحدّ ضياعي،
أتعلّل بكلّ رسالةٍ انمحى عنوانها
لأخترع عناوين تترنح في الجهات.
،،،
اللغةُ ورق تحت المطر
نجم تحت كثبان الغيم
سهم في عاصفة، يلتمس اسمك،
تطلقه يدٌ سكرى
،،،
ماسةً، يلتمع صوتك
يدور في مساره، مثل كوكب
يدنو ويبتعد كومض تفرقه الريح
تترصده يدي
أُريق له السراب أُضحية

فما تعود الصحراء تُقاس بالسراب
أو العطش
أو البحار التي لا تموج بها سوى الظلال.

قصيدة إلى برونو ك. أويّر
Bruno K. Öijer

لا وطنَ لك
اكتسبتَ ملامحك من التمرّد
لم تتعرف عليك بلادٌ ما
لأنك لم تضع رأسك وتخلد إلى حجر ما،
أسميتهُ الوطن

كآبتكَ احتجاج
وضحكتكَ منشور سخرية
تعطي للوردة اسماً
وللغضب ملامحَ
حين تستجمع قبضتك
تتبعك الكلمات مثل صغار معنّفين

العالم عندك مساحة للأرق ولِوَهج الأفكار المشاكسة،
لهذا لم تنضوِ

كأنّك الطفل الذي لم يُغادر ظلّه
كأنّك الطفل الذي يجد نفسه في رحِم
الذاكرة

لذا لم تأتلف مع عالم،
تجده فظاً ومُضاءً أكثر مما ينبغي.

* من كبار الشعراء السويديين المعاصرين.

في مدار الطوفان

نص عند حافة الوجل والشراسة

- شهادة كائن رقمي -

ها أنا أقف وحيداً أمامكم على هذه الصفحة البيضاء أو عندها.. وربما أنا الذي أقف في الوقتُ ذاته على بلاطِ غرفة وحيدة نائية في بيت منسي بين بُيوت منسية، أو أقف في أرض عارية مكشوفة للريح والنجوم وتبدّلات المواسم... أقفُ في محطة، كمتشرد يتذرّع بانتظار القطار، وأفكاره نهباً للبرد والجوع والضجر. أقفُ عند نهر يتكرّر..

أنا سينٌ من الناس، لامٌ من الناس، كافٌ من الناس. ليس مهماً اسمي أو هويتي، لا أهميةَ لأية صفة فقد تشَيّأ الإنسان إن لم يكن قد تحوّلَ إلى كائن رقمي وهي مرحلةٌ أبعد من الآلي. فإذا كان الآلي في الأقل مجسّداً فإنّ الرقمي هو افتراضي أو وهم. ولتلطيف الصدمة، أقول: وهمٌ ايجابي.

لا شيَ صار يدل على وجودي أنا الرقمي. تطلعاتي وأحلامي افتراض، العلاقة

بالآخر افتراض. الحب، الكره، الشجاعة، الجبن، الخوف، والروائح افتراض. سوى العزلة والحزن، ما مِن شيء مؤكد أو له قابلية أن يُلمس، لكأنّ الحياة تتسكّع بعيداً عن شاشة الكومبيوتر وأثير الإنترنت، صحبةَ دمعةٍ تتنزه طليقة في الأحراش أو شوارع المدن.

أنا الشاهد اللا حيادي: أرى حصاناً يتمرّغ في ما تبقى من بقعة تراب محاصرة بزحف الإسمنت والحديد. فيما شاشات البورصات تضج بالأرقام المتبدلة كالبرق..

أرى طفلة تعدو بضفائرها على رمل ستُصلكّ منه الأسلحة،

أنا الشاهد اللا حيادي، أقولُ لكم ستكون القطارات وكل وسائط النقل بإهاب من المسلحين، إذ لا شيء سيمضي بسلام. ستكون الأقنعة زينتنا في هواء فاسد. سنخطرُ بملابس معدنية وقلانس من فولاذ لدرء ما قد يطالنا، فلا شيء في مأمن. تدرّعوا بالسلاح لا الصبر والحكمة. هذا عصر العمى والجنون الغبي والبذاءات. لا مكان فيه لأسطر من الكتاب.

صارت قوائم اللوتو ونشرات البنوك كتبنا المقدّسة. الدمُ يرصّع الماس وبقية الأحجار الكريمة زائفةً كانت أم حقيقية. والقتل التسلية الوحيدة لشعوب يقتلها الضجر والفراغ.
القتل هو مهنة العاطلين.
أطفئُ التلفزيون لئلا يحملهُ موجُ الدم. لم أعد أعرف أهذا أحمر شفاه يلطّخُ أفواه المذيعات أم الدم يسيل، وهنّ يسردن وقائع القتل.
كم جثة ستحول بين فم المذيعة وقبلتها؟
وكم مدية ستستدرج القاتل إلى حفل مقابلة الضحايا في حديقة الموت.
المُدى، السيوف، الغازات بأنواعها، الناسفات بأشكالها وكلّ أنواع الحديد والمعادن المُفعّلة صارت هوية دخانية لعالمنا المعرّف بروائحه الضارية كأعتى المداخن.

....
كأنّ الوجوه ترى إلى نفسها في صفحات السكاكين، في التماعة النصل، في السمّ المُعدّ لصقلها. الوجوه تركن إلى شحوبها

فقد اصطفاها الرعب موزّعاً عليها أعطياته التي لا تُردّ.
بكلمات تطفر من فمِ الأرق يؤكّد أن النهار ما هو إلا ظفرُ الليل، ينشبُ كلماته في جدار العالم، شاهداً على كوكب يتقدم بفؤاد ضرير وبعينين لهما صفاقة الأظفار والمخالب لتدمى صفحات التواريخ.
أجرؤ على تدوين فظائع العالم أو مراقبتها بقلب له هشاشةُ الفراشة لكن بروح مفعمة أو مثقلة بشكيمة الأسد، متسائلاً كم محبرةَ دم، بل كم نهراً أو بحراً يحتاج التاريخ كي يثبت زهوَه وصلاحيته للتداول؟!
أتحيّنُ الظلال، وجِلاً، كمن يمشي قرب جدار سينقضّ، كمن يرى المصابيح محجوبة بأجنحة سود.
مهددٌ بالذكرى إذ كلما مالتِ الشمس تذكّرتُ انعكاسها على لوح الزجاج العريض الذي صادفني قبل أيام ولم يكن ثمة أي حجر على مقربة رغم بحثي الطويل.. وها أنا صرتُ أرِقاً، ممزقَ النوم، لكن ما ان يغالبني النعاس، وإن لثانية، حتى أسمع صوت زجاج يتهشم آتٍ

من مكانٍ بعيد وأُفيق على قبضتي مضمومةً ترتجف من الغيظ..
قبضتي واجمة أمام سيل الأخبار والدماء والكوارث. والكوارث نسبية أيضاً. فسقوط عشرات الضحايا في بلد ما يمضي كسطر غير مرئي بين آلاف السطور في جريدة، وسقوط مواطن واحد يُعلنُ يوم حداد وطني في بلد آخر. الخدشُ كارثة. انطفاء شارع الرشيد كارثة. وأن يفرّ شعبٌ من نفسه شيء يتخطّى الكارثة..
لكننا نبقى نَشتقّ الأمل، فما من خيار أمامنا سوى ذلك. لفتتني عبارة لعبد الوهاب الدايني[1] في لقاء سريع معه إذ يقول، "كم تفرحُني ابتسامة طفل وإن كان على المزبلة".
ها هو جُرح بغداد بطول دجلة، بطول الفرات بطول حافة تطلّ على دمع لا ينضب. نقف هناك بمناديلنا ننشّ عن وجه بغدادَ الغبار والسخام والبرقَ والهتافات الكاذبة. نسألُ نجمةً عائمة في سمائها أن تنظر بمائها إلى عطشنا، وتمسح بشُعاعها ما تراكمَ على وجوهنا من رمال الأزمنة

وأن تتلطّف بالفراشات المتحدّرة من أجساد الضحايا..
أيّ رعب وهول وكلّ ما لا يُروى قد خبرِه الضحايا تحت بأس جلاديهم بأقنعتهم السود وأدوات القتل أو التعذيب الشيطانية؟
أية أجواء نشرها القتلة في أقبية السلخ البشري..
شيءٌ لا يمكن حتى للسيد هيتشكوك أن يتنبّأ به أو يمكن له ان يتصوره مهما بلغ به خياله الجامح نحو هندسة الرعب، حيث لم يشتط به خياله، على وحشيته، نحو حزّ الرقاب بصفائحَ مسنّنة. ما يستلزم ذلك خيالٌ أسود مريض بامتياز وليس أي خيال آخر
الأخ يسقط بمدية أخيه
والأم على يد ابنتها
والتلميذ على يد معلمه...
إذاً أيّ مستنقع شيطاني يغطس فيه العالم.
يا كوكب شعبي التائه في مدار الطوفان،
أي قارب نجاة تأمل؟
من سيصنع الفلك وأنت بلا يدين!

كيف لك أن تزيح الستارة عن الشبابيك لتعرف إن كانت الدماء قد انحسرت عن النوافذ

هل انشققتَ نصفين: قتيلٌ وقاتل؟

وفي الأيام التي اتضحتَ فيها أكثر كضحية كنتُ أتذكّر عبارة بريخت عن الشعب الألماني إبّان هتلر، بأنه تحول إلى نصف مُراقَب ونصف مراقِب....

والآن.. هل تحوّلتَ يا شعبي إلى قطيع من عبَدة السكاكين والرصاص.. الرصاص هو ذهبك المُموّه. يقول ستيغ داغرمان[2] على لسان الضحايا:

"لم يكن الرصاص هو الذي خطف حيواتنا بل الرجال، رجال آخرون. لا تلعنوا الرصاص. العنوهم.... في البلاد تمدد الموتُ على كلّ طاولة، في القصر الكبير جلس الموت على الكرسي وخاطبَ الشعب."

لكن البلاغة المسنّنة لنصيف فلك[3] تقول المسألة بطريقة اخرى مباغِتة في غضبها وحزنها وتقريرها إذ كتب يقول "تحول الوطن إلى جثة والشعب إلى دود". هل

ثمّة ما هو أفجع من ذلك. هل ثمة، بَعدُ، ما يرمّم هذا الشرخ ـ العار؟.
علينا أن ننكأ الجُرحَ لا أن نخدّره. أن ننظفه، نطهره بالنار.
لا مكان لكتابة تُغضي على الأذى والقيح.
يا شعبي العظيم! التعاليم التي لكَ في الألواح طُوّحَ بها في الهواء فكم من عجل اتخذتَ في غياب النبيّ وكم من سامريّ استعذبتَ، كأنك صدى خوار العجل، ولا يمّ قربك لنحرّقَ أو لنَنسفَ..
ليس لسوى كائن رقمي، المقدرة، على أن يرى ويروي عالماً حائزاً كلّ هذه الفظائع ومتوجاً بجنونه الأسوَد.

1- عبد الوهاب الدايني ممثل ومؤلف وكاتب سيناريو عراقي معروف، والجملة مأخوذة من مقابلة معه في صحيفة "المدى".
2- ستيغ داغرمان ١٩٢٣ ـ ١٩٥٤ شاعر وروائي وصحفي سويدي والمقطع المختار هنا من قصيدته ـ محادثة بين الأحياء والموتى ـ بترجمة الكاتب.
3- نصيف فلك شاعر وروائي عُرفَ بروايته "خضرقد والعصر الزيتوني".

مما قيل في تجربة الشاعر

• .... وفي «الأعمال الشعرية» هذه بات في وسع القارئ أن يتابع كامل المجموعات العشر: «كلمات ثم كلمات»، «صورة الأرض»، «الأرض المرّة»، «سماء بطائر وحيد»، «أكثر من أثر»، «الدمُ قراطية»، «ظلال وأقنعة»، «لا مكان لنا»، «في مدار الطوفان»؛ فضلاً عن المجموعة الأولى. ولقد ظلّ المرعبي وفياً لخياره المبكّر في اعتماد قصيدة النثر والتفعيلة، بمهارة واقتدار، وعلى نحو قصدي يتوسل استقراء ما في الشكلين من طاقات عالية، قابلة للتطوير والإغناء. كذلك ظلت موضوعاته في حال ديناميكية من التنوّع من حيث استكشاف أغوار اشتباك الذات مع معضلات الوجود، في الزمان والمكان؛ وإطلاق ضمير المتكلم في دوائر كونية، تراجيدية تارة وغنائية طوراً.

صحيفة القدس العربي - 9 ديسمبر 2017

• باسم المرعبي صاحب مجموعة العاطل عن الوردة، شاعر متمرّس.

غالي شكري - برج بابل - النقد والحداثة الشريدة - لندن

• محاولة في لغة مؤنّقة، ذات تشكيلات جميلة، وصور ماهرة. شعر لافت الرغبة، على تفتيش يُدهش في حالات الصفاء. وبه تكافىء اللجنة شعر الغوص على الذات وابتكار تعبير غير معاد ولو بدا صعباً.

نزار قباني - أنسي الحاج - رياض نجيب الريّس.
من بيان منح الشاعر جائزة يوسف الخال لمجموعته الأولى 1988

• باسم المرعبي شاعر عراقيّ مقيم في السويد أصدر أكثر من عشر مجموعات شعرية منها: «العاطل عن الوردة»، «كلمات ثم كلمات»، «صورة الأرض»، «الأرض المرّة»، «سماء بطائر وحيد»، «أكثر من أثر»، «الدمُ قراطية»، «في

مدار الطوفان»؛ وفي كل هذه المجموعات الشعرية هناك جوهر فاعل يسري بين النصوص، المكان بتجلياته، القمع والقهر والعزلة، الطبيعة، الحب ليس فقط العلاقة البسيطة بين العشاق على أهميتها ولكن يتجاوز ذلك إلى رحاب أوسع، رحاب إنساني تضامني، وطاقة روحية للمقاومة ضد الخواء والاغتراب الروحي، ضد النفي والتقزم، كما إنها شعرية نهرية متدفقة غزيرة ثرية، دون السقوط في الترهل، بل هي محكومة بقوة ضفيرة معرفية كوّنها عبر رحلة طويلة مع القراءة الجادة.

عبد النبي فرج ـ في كلمة المقدمة لحواره مع الشاعر ـ مجلة "البحرين الثقافية"

• كل قصيدة لدى المرعبي، هنا، بالعموم، هي محاولة لمنح باب لجدار أصم، بتنويعات ومقترحات ومخترعات.
«منح باب لجدار أصم» ديدن الشعر عبر تاريخه، لكن لكل شاعر تاريخه الشخصي وسيرته الذاتية، وهو يمنح باباً لجدار

أصم، يميّزانه عن غيره ويكسبان سحنته ملامحها ولونها وإيماءاتها، عبر اللغة.
تسير قصيدة المرعبي، في هذه المجموعة، بطاقة الفكرة، فكرتها، لا بخدعة البلاغة ورنين العروض الممل.

عواد ناصر- عن مجموعة "سادن الحبر" - الشرق الأوسط

• ليس مبالغة القول إن الشاعر العراقي باسم المرعبي يمثل ومضة برّاقة في زينة الشعر العراقي الحديث. وقصيدته الهادئة، المشحونة بطاقة الوعي والحسّ المرهف، والبلاغة الصافية الرصينة الرخيمة، هي قصيدة مفعمة بتعابير قديرة، تخوّلها الدخول إلى واحة الآخر ـ المتلقي من دون استئذان، لما فيها من سلاسة جاذبة.

إسماعيل فقية - في تقديمه لحواره مع الشاعر - مجلة "لها"

• باسم المرعبي، شهادة كاملة عن الاقتراح الثمانيني. صورة بالطول الكامل لمشهدية شعر تلك المرحلة. عدة بنى تستتر وتلتحق في صوته: لا فداحة ولا إفراط للّفظ. على خلفية انقلاب أبيض في وجه التراكم السابق. أنا هامسة تحفر في طبقات المعنى الشعري. ومقدرة على إعادة التوازن التي أُفتقدت بين اللفظ والمعنى. وذلك إنقلاب أبيض ثانٍ أجراه في وجه الفداحة التي ميّزت تحديثاً يقوم على توسيع الهوة بين الكلام والمدلول.

عهد فاضل ـ كتاب "تعريف الشعر" ـ القاهرة

• باسم المرعبي من بين الأسماء الجدية والرصينة في الإنتاج الشعري منذ عقدين ونيف ولكلمته الشعرية وقعها وطعمها الخاصّان، هو المستقل في طيرانه وحيداً في عالم الإبداع.

صباح زوين ـ جريدة النهار

• ما يوحد قصائد باسم خضير المرعبي في تنوّعها، هي اللغة الهادئة التي تُفصح

عن طاقة وفورة حياة (.....) والميزة الأساسية لنتاج الشاعر القوة التعبيرية للغته (.....) ليست الصورة وحدها في ثرائها وتنوّعها هي ما يميّز قصائد المرعبي، وإنما نجد هذا الثراء وهذا التنوّع في فكرة كل قصيدة، بل إنّ هناك حركة في الفكرة نفسها واكتشافاً جديداً في كلّ مرّة. ربما يختلف إنعكاس الفكرة الواحدة وتأثيرها حسب المتلّقي، خاصة إذا تميّز هذا المتلّقي باستقبال فكرة القصيدة بأداة تحليلية غير مألوفة. فالمرعبي يمكن أن يوصف بأنّه شاعر الإيغال في غابات الصور، وقصائده ذكية تتوالد فيها ومنها الأفكار.

جاسم الولائي ـ الزمان ـ لندن

• تحاول هذه الكتابة شقّ طريقها بتفخيم الإسلوب.

الياس حنا الياس ـ اليوم السابع ـ باريس

• ... هناك أمثلة أخرى من السوريالية، يصفها المؤلف بأنها (سوريالية غير مؤذية) يجدها في مجموعة (العاطل عن الوردة) للشاعر العراقي (باسم خضير المرعبي) حيث يبدو الشاعر متمكناً من حبْك صور غربية مدهشة لا يقبلها المنطق، لكنها تستوقف القارئ ليعيد القراءة ويتخيّل هذه الصور الغريبة.

نزار بريك هندي ـ كتاب في مهبّ الشعر ـ مقالات ودراسات ـ دمشق، متناولاً كتاب الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، "مدائن الوهم" ـ شعر الحداثة والشتات.

• سوف يبدو واضحاً أمامنا أن الشاعر الذي شق عصا الطاعة على تفاعيل الخليل، وفارق جماعةً من شقوها قبله في التفعيل أيضاً، هو شاعر يمتلك أدواته الخاصة التي تأتى في بلورتها من براكين دواخله، عبر عشر سنوات من ممارسة الشعر قبل طباعة مجموعته الأولى التي تفتتح مسيرة عشر مجموعات سرن وراءها بإخلاص الانتماء إلى الجينات نفسها، ولكن أيضاً بمفارقة امتلاك الروح

الخاصة لكل واحدة منهن؛ ويمكن بسهولة ملاحظة وتلمس وعيش بعضٍ من نسيج هذه الأدوات:

ـ أقفاص العناوين غير المألوفة والمنزوعة الأبواب مثل (عروق الموسيقى، قنوط الآمل، الوردة تسيل ولا أصابع تلم العطر، كل الطرق لا تؤدي إلى ما جيرا، والمفرد في جمعه المشوه النابح).

ـ اللغة المفتوحة دوماً على تساؤلٍ يولد الحوار مع النفس ومع الآخر، كما يولد الأفكار: «بأي موسى أجرح الشمع؟ أرجرج المتحف؟/ أسيل الحمام على جلد الزجاج/ بأي صوت أصل صمتك المرجاني بالبراري/ بأي كتابة أقطع بياض قطيعتنا؟».

ـ اللغة المتدفقة بذاكرة مشرقة لا تنسى في جريانها قطف ما يغنيها من الثقافة الإنسانية، ومن كلمات شعراء وفنانين ومفكرين بأسمائهم، كالمتنبي، المثقب العبدي، غوغان، مع معاني التراث العربي والعالمي، إضافة إلى متحف الطبيعة التي تؤمن لهذه اللغة أرضها،

غاباتها، بحارها، جبالها، طقسها وكائناتها، التي تدخل أتون فرط الموجودات لكي تعاد جزراً جديدة تبزغ لأول مرة من قلب الشعر؛ بأصابع تنكمش: «وهي تفكر في إبريز زغبك» وبحواس: « تختلج بينا تقلب فاكهتك»/ يا انثيال قوس قزح ندي بين أصابعي/ يا حمحمة مهرة ولهاث غزالة/ إني أرهف القلب لملمس نبضك يا نعومة البريق/ يا نبع مرايا تلين لتطلع دمي».

ـ اللغة العربية الفصحى الصافية الرفيعة في دقة معانيها، دون تلقيح باللغة المحكية، لكن بابتكار أيضاً في التلقيح، مثل استبدال المفاتيح التي أصبحت للقفل فقط بكلمة «مقافيل»، مع الرشاقة وغلبة فصحى الحداثة.

ـ اللغة التي تجد حريتها في قصائد النثر التي تمتلك خاصية التدفق الطليق الجاري بخبرة إيقاعات قصيدة التفعيلة، لتخلق سواقيها الخاصة؛ مثلما تجد حريتها في قصيدة التفعيلة، التي لا يتخلى عنها الشاعر رغم تميز خصوصيته أكثر في قصيدة النثر.

ــ اللغة التي كون الشاعر بها مفردات خاصة به يستخدمها للتعبير عن رؤاه، في مجمل شعره مثل تعبير «حيوان حلمي» الذي «أمسد شعره القصير، أقبل ما بين عينيه/أختلي به برقاً، عن أعين المروَضين، أُوَشْوشه/ما لا أذكر/فينطلق رشيقاً كـ هو». والذي يبلوره الشاعر في قصيدة تالية: «بأي عين أصف حيواني/ وأي عينين سأرويهما عنه:/ السهوب أطرافه، رأسه الغابات/ أصابعه الأحراج والأديرة المنسية في المرتفعات/ الينابيع والحصباء خطوه/ الركض كتابه».
ــ واللغة/ الحب التي لا تميز كوردةٍ رائحةَ لونها عن لون شذاها، تحت أثير عنوانها: «العاطل عن الوردة في مهب أسمائه»، والتي تتخلل قصائد المجموعة الأولى لتنهض مستقلة بذاتها كما فينوس بوتشيلي، خارجةً من الصدفة، عاريةً إلا من نشيد سفر إنشادها السومري.

المثنى الشيخ عطية ـ من مقال عن "الأعمال الشعرية" ـ القدس العربي 7 نيسان/ أبريل 2018

فهرست

• العاطل عن الوردة

العاطل عن الوردة

ملحقان:

• كلمات ثمّ كلمات

كلمات العزلة

• صورة الأرض

• الأرض المُرّة

• سماء بطائر وحيد

• أكثر من أثر

ـ باب عندما يحتشد القلب بهن

• الدمُ قراطية

● ظلال وأقنعة

• لا مكان لنا

• في مدار الطوفان

الأعمال الشعرية

سوف يبدو واضحاً أمامنا أن الشاعر الذي شق عصا الطاعة على تفاعيل الخليل، وفارق جماعةَ من شقوها قبله في التفعيل أيضاً، هو شاعر يمتلك أدواته الخاصة التي تأنى في بلورتها من براكين دواخله، عبر عشر سنوات من ممارسة الشعر قبل طباعة مجموعته الأولى التي تفتتح مسيرة عشر مجموعات سرن وراءها بإخلاص الانتماء إلى الجينات نفسها، ولكن أيضاً بمفارقة امتلاك الروح الخاصة لكل واحدة منهن.

المثنى الشيخ عطية ـ القدس العربي

وللعراق صوته، لم أسمع منه إلّا ما أسمعتنا إياه مجلة "الناقد"، بعنوان "الأرض المرة". (....) هو جرح بسعة الأرض، أرض العرب، ويفيض (....). وحدهما الشاعران، العراقي "باسم المرعبي" والفلسطيني "سميح القاسم" تقمّصا جرح الشعب، عاشاه، إدانة لكل من أسهم في الكارثة.

أنطون مقدسي: حرب الخليج/ اختراق الجسد العربي ـ كتاب الناقد


الغاليري للكتب والفنون
